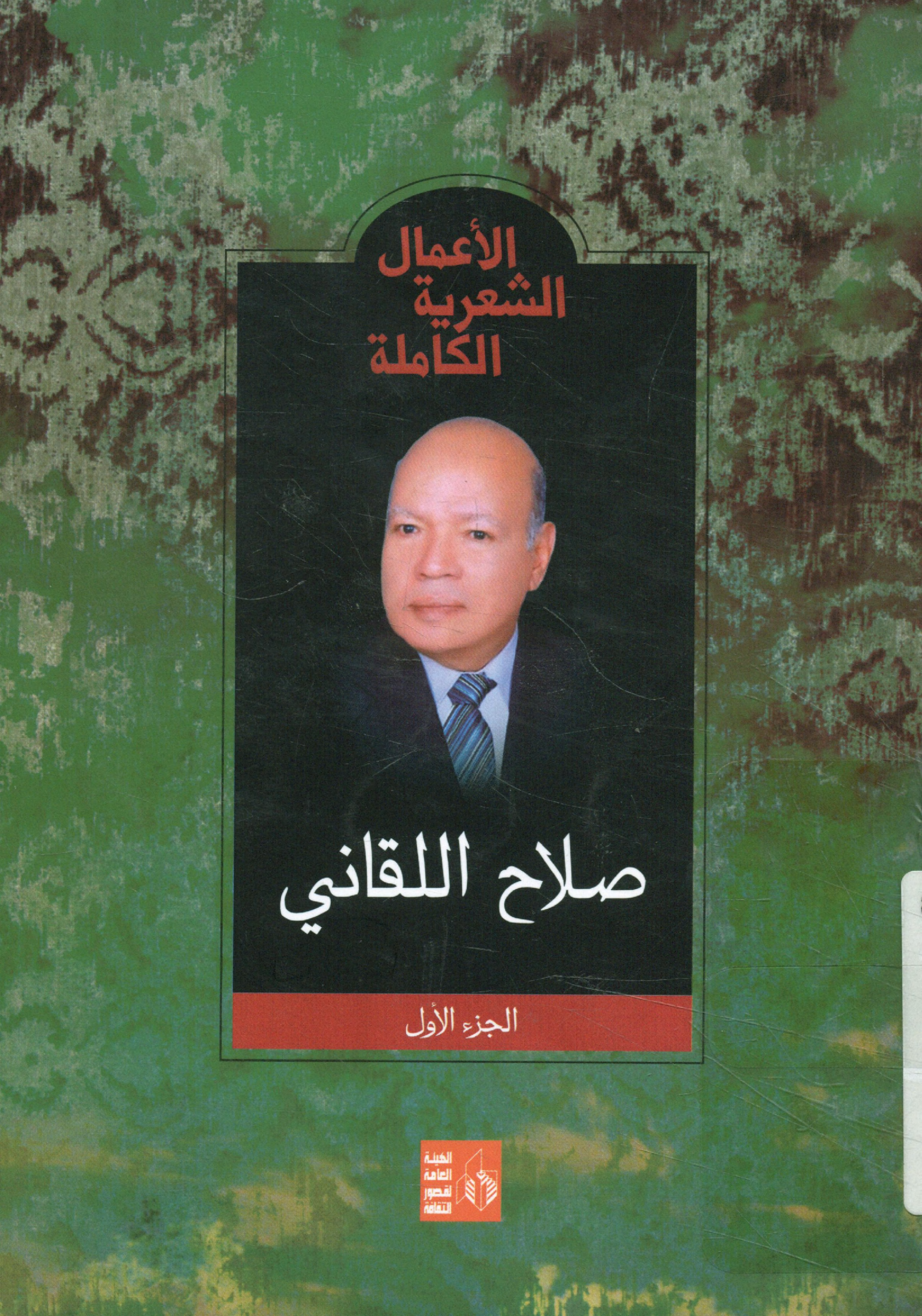

الأعمال
الشعرية
الكاملة
صلاح اللقاني
الجزء الأول
الهيئة
العامة
لقصور
الثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة
صلاح اللقانى

(الجزء الأول)

وزارة الثقافة



سلسلة
الأعمال الكاملة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• الأعمال الشعرية الكاملة
صلاح اللقانى (ج١)
• صلاح اللقانى
القاهرة 2013م
13,5 x 19,5 سم
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: ممدوح بدران
• رقم الإيداع: ٢١٦٩٥/ ٢٠١٣
• الترقيم الدولى: 978-977-718-555-4
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

الأعمال الشعرية الكاملة

صلاح اللقانى

النهر القديم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى من دار النشر للجماهير عام ١٩٧٧
الطبعة الثانية من كتاب إضاءة عام ١٩٩٩

زفير المدينة

هادئاً..
أتمطَّى على مَقْعَد الليلِ
كنتُ،
سوى ثرثرات الرفاقِ،
ونبضةُ ضوءٍ
تزيح العمى بُرهةً، ثم
يهوي سريعا وراءَ
الزجاج، ويأتي خلال الهواءِ
المُبَلل بالهمهماتِ زفيرُ المدينة، والعرباتُ
الثقيلةُ تزحفُ وسط نشيش المُحَرِّكِ،
يتحدُ الليلُ
بالخوفِ
بالأغنياتِ البعيدةِ، يَنْفَرِجُ

البابُ عن نسوةٍ عارياتِ
الصدورِ، يُساعدهنَّ
غلامٌ صغيرٌ على وَضْع آلاتهنَّ
ويدخل بعضُ الرجالِ،
وينتشرون خلال الموائدِ

قال المغني:
ينام المساءُ الجميلُ
على مُقْلتيها
ولكنني لا أشاهد غير
المساحيق تكسو انطفاءَ الوجوهِ
بِحُمْرَتِها المستعارةِ
مما وراء البحار، ولا يسمعُ
الليلُ شكوى الصدور التي
ابتذلتها عيونُ الرجالِ،
ولا يدفعُ الليلُ
أجرَ الحناطير، أو ثمن الكهرباءِ،

فهُزّي إذن..
خَصْرَكِ الرَّخْصَ، يَسّاقطُ
الماءُ في الحوضِ
وابنكِ يكملُ
درسَ اللغاتِ الخصوصيِّ

لكنه الليلُ
يلسعنا بالنساء الجميلاتِ
بالورق المتطاير في
هَبَّةِ الريحِ
بالفكرِ
حين يصيرُ ترابا ورملا.

(على شاشة التليفزيون يبدو
مُدَرِّبُ كلب المغنية المستضافة)

- أي النساء تُحِبُّ؟

فقلتُ:

الفتاةُ التي عبرت بجواري

مساءَ الثلاثاءِ

ثم اختفت في الزحام،

على شَعْرِها

لمعانُ النيونِ

وتلبسُ جونلةً لونُها

أخضرٌ

وقميصا رقيقا يُوَسِّعُ

دائرَةَ النارِ مترين حتى

أصلِّي صلاة المجوس.

- تُحِبكَ؟

قلتُ: تبعثرتُ فوق

السؤال شهورا طوالا

ولكنني
لست أدري سوى أنها
عَطَّرَتْ اسمها مرةً
ورمته على
جدول الروحِ فانتفضتْ
كالغزال الشريدِ

- تراها؟
فقلتُ: إذا أوحشتني خرجتُ
إلى طرقات المدينة علِّي
أراها، وأبحثُ في
أوجه الفتياتِ الجميلاتِ عن
طائر البحرِ، حتى
إذا احترقت خُطواتي
انكفأتُ إلى البيتِ
مُكتئبا وتعيساً
فتفجؤني بالظهورِ

كلمعِ الشهابِ، وتتركني
جسداً..
مُثْقَلا بالنبوءاتِ
بالعنب المتساقط من
كَرْمَةٍ
في الفراغ الذي يحتويها.

(تقوم المغنيةُ المستضافةُ، تفتحُ
دولابها، كي يشاهد عشاقُها من
حُفاة المقاهي فساتينَها،
ويغطون بالنظرات القوامَ الجحيميَّ
واللفتات الرشيقة.)

– لا تبدأوا العَدْوَ نحو الجنون الجميل
فعالمُنا..
لا يزالُ طَرِيًّا
نشكله كالعجينِ
رغيفا.

- ويأكله المتخمون؟

إذا انكسرت مُقْلَةُ الليلِ
يصحو بصدري غُرابُ العذابِ
ويشعلُ..
مصباحَ جُرْحي،
وأشعرُ بالبرد حين يَرِفُّ النسيمُ
فأغلقُ شُبَّاكَ حزني،
ولكنه الليلُ..
يلسعني بشموس الجراح الصغيرةِ،
يكتبني قصةً عن صبيٍّ بكى
حين أدماهُ سهمُ
العيون الجميلةِ،
ينبتني وردةً فوق نافذةِ
المستحيلِ، يوقِّعُ باسمي
على جَبْهةِ الفرح المستحيلِ

(لقد عبثوا في حياتي، ولم
يكتبوا عن غنائي وصوتي،
وقالوا بأني أصادق بعضَ الرجالِ)

- أخي صار مُتهما بالنظافة
في آخر الليلِ
جَرُّهُ فوق البلاطِ،
وألقوا به
في هدوءٍ عنيفٍ
إلى جَوْفِ سيارةٍ لا تُرى
في الظلامِ، وبعدَ
قليلٍ تصاعد صوتُ المُحَرِّكِ
ثم تلاشى
خلال ضجيجِ السكونِ

- وهل عادَ؟

- ما عاد غيرُ قرارُ الإدانةِ

- هل زُرْتَهُ؟

- زرتُهُ،
في سجون الجرائد،
مُعْتَقَلا..
في السطور الجبانةِ
ينمو
على جرحهِ خنجرٌ
كل يومٍ.

- فمن يرفعُ القيدَ عن عُمْرِهِ؟

- لا يفكُّ إسارَ الحبيبِ سوى الحُبِّ

كان يفتشُ في قاع صمتي
عن البحرِ
والجُزُرِ النائياتِ
ويسألني كل يومٍ
سؤالا حزينا،
وكنتُ أفرُّ بنفسي بعيدا
عن النار في صوتِهِ،
كان مُنتفخاً كالشراعِ
بحزنٍ غريبٍ،
وكنتُ رقيقا كفنجان
شايٍ، وحين أدانوه بالحبِّ
هذا الفتى،
صرتُ منتفخاً،
كالشراعِ
بحزنٍ غريبٍ

- تعلمتَ منه الكثير؟
- لقد كنتُ مثل تراب الحديد فمغنطني
صرتُ كهلاً
له عمرُ نوحٍ، وكنتُ
بريئا كعشِّ اليمامِ
فعرَّتْ لي الأرضُ
عَوْرَتَها،
صار قلبي مظاهرة يهتف
العاشقون بها:

يا زمان الموتِ شَرِّدنا
فقد جاع الصغارْ
يا زمان الموت قد ألقوا
إلى النار الكبارْ

ثم أسندتُ ظهري
إلى حائط الثورةِ

المستكنةِ كالنار
في الصخر، كالماءِ
في العشبِ، كالجنسِ في الحبِّ،
هل ذقتَ طَعْمَ ارتمائكَ
في حضن أنثى تحبكَ؟

قال بسخريةٍ:
حين ضاق المُرَتَّبُ بالحبِّ
لم يبقَ غيرُ المجلاتِ
كي نتزوجَ نسوتَها العارياتِ

(أدار فتى أسودُ الشَّعْرِ
زرَّ الجهازِ، فأسكتَ ضِحْكتَها
فجأةً، وتجمعَ من بقع
الضوءِ إعلانُ سيارةٍ من
طرازٍ حديثٍ فأرجعها في
وقارٍ أنيقٍ تحدثُنا عن كفاح
السنين الخوالي)

طريقُ المحطة يَزْحَمُهُ العائدونَ،
أفتشُ في أوجهِ الطالباتِ
لعلكِ طالبةٌ
حملت في حقيبتها
ورقا
من غصون النهارِ
لعلكِ في بطنِ حبلى
تمرينٍ ساخرةً
من جنون انتظاري
لعلكِ عاملةٌ في مَحَلٍّ بعيدٍ
تعودين في آخرِ الليلِ
منهكةً..
حين يسهو بشعركِ
نَجْمُ الكلامِ
ويسقطُ فوق لساني

وألمحُ عابرةً في الطريقِ
فأتبعها
حين يهجرني الخوفُ
أصعدُ سُلَّمَ منزلها
كاتما نَفَسي
ثم أطرقُ بابا، ويبرزُ
وجهٌ غريبٌ
أليفٌ
ويخطفني من دمي نسرُ
عينين ضاحكتينِ، يبعثرني
في اتساعهما
إنها أنتَ،
لا يعرفُ البرَّ إلا
شراعٌ شريد.

مايو ١٩٧٧

الأرضُ نفسُ الأرضِ
ما زالتْ
ولم تزل البحارُ
زجاجةً
مملوءةً بالرملِ
والسفن الغريقةِ،

كلُّ من جاءوا إليكِ
تحيروا،
هل ذلك المَطَرُ
المسافرُ من أصابعكِ
النحيلةِ،
كان وهما عابرا؟

أم أن أحزان الرجالِ
تكاثفت
في مركز الأرضِ السحيقِ
فليس يدركها
مَطَرْ؟

الأرضُ نفسُ الأرضِ
مازالت، وماءُ
النهرِ نفسُ الماءِ، هل
وَقَفَ الزمانُ
هُنَيْهَةً؟
فتجمدت في الأفق
جمجمةٌ بحجم
الكونِ
أبصرُها..

إذا انكشفت دكاكينُ
المدينةِ
عن صباحٍ باردٍ
وإذا نظرتُ خلال
نافذة القطارِ
وإن تَوَتَّرَ ذلك الألمُ
المُمِضُّ بأعين الخلان
في ليل السَّمَرْ

الأرضُ نفسُ الأرضِ
مازالتْ
وها أنا صِرْتُ
مجنونا
أدوِّنُ في مفكرتي
ملامحَ وجهكِ المَنْسِيِّ،
عنوانَ الإقامةِ،

رَقْمَ هاتفكِ الجديدِ،
وسامحيني..

كلما حَدَّقْتُ
في هذا الفراغِ
تشكَّلَ الوجهُ المراوغُ،
صار أبيضَ
صار أسمرَ فجأةً
حتى اختبلتُ
فسامحيني

أنتِ في دمعي
كتابُ الحزنِ، بين
أصابعي دفءٌ خياليٌّ، وفوق
كآبتي وردٌ
تَفَتَّحَ في قميص الحبِ

أسأله السلامةْ

يا بنت عُمْري،

يا يمامة.

يا كبرياء النخلِ

يا زمنِ القيامةْ.

جاءَ السبيلُ إليكِ،

هل تأتينَ؟

ها تلتفُّ حول نحولةِ الخَصْرِ

الذراعْ؟

هل أنحني لألمَّ شَعْرِكِ؟

بعدما عبثت به

الريحُ الحرونُ، وأشعلتْ

من حُسْنِكِ الوحشيِّ

تنورَ الجياعْ

هل أرتمي..

في ثروة النهدين عاما كاملا

حتى يعود إلى العروقِ

دمي، وحتى تُفْلتَ الشمسُ الشعاعْ

وأقولُ في شَجَنِ التواصلِ

أدفئيني.

ألقاكِ كيفَ؟

دمي يُغمغمُ بالكلامِ

كأنهُ بئرٌ،

وحُزني قلعةٌ،

تكبو

على أبوابها الخمسينَ

خيلُ المركباتِ

الضائعةْ

إني عَبَدْتكِ وقتَ أن
كفرتُ بك الدنيا
وأطلقتُ الطيورَ إلى
فضائكِ،
يا سمائي السابعةْ

وحفرتُ في أعضائكِ البيضاءِ
جسمي،
لا تقولي: أنتَ أنتَ،
فقد حَلَلْتُ بكل جُزءٍ،
صار وجهي
وجهكِ الداني
البعيدَ
وصار صوتي
صوتكِ الفضيَّ
حين يدقُّ
في جَوْفِ السكينةْ

صَفْصَافةُ الذكرى تظللُ خاطري
لا تمسحي عن جِذْعِها
اسمي، فإني
نابتٌ كالضوءِ في
نَخْلِ النهارِ،
مُقَيدٌ كالدمعِ في مُدنِ
العيون الواسعةْ

لا تبدئي بالهَجْرِ
سلطانُ الغرام أنا
وملحُ البحرِ في شفتي
وإن طال التمنعُ
صُغْتُ من عِشْقي فُتوحاتٍ
ومن شِعْري
سفينةْ

ونزعتُ عن لَحْمي
محارَ الصمتِ
كي ألقاكِ يوما فوقَ
خارطةِ البكاءِ
تُحَدِّقين إليَّ
كالشمسِ الحزينة

وأنا أقومُ مُمَزّقا كفني
صَليبي،
رافضا كلَّ النهاياتِ التي
صَدِئتْ كسكينٍ، يُحَوِّمُ
صَوْتيَ الآتي كطيرِ البحرِ، مُبتلَّ
القوادمِ بالسماءِ،
أقيمُ عدلا آخرا
وأقيمُ كونا آخرا
وأقيمُ إنسانا جديدا
أبعثُ النارَ التي خَمَدَتْ،

وأستسقي السحابْ
وأظلُّ في سَفَرٍ إليكِ يضمني
بَلَدٌ، ويطردني
عن الأسوار بلدانٌ، لأنكِ
فوق جِلْدي
خاتمُ الفوضى
إذا ما أبصرتهُ الجُندُ..
أطلقت الرصاصَ،
فخبئيني في خِيامِ الضوءِ،
في جَرَسِ الحناطيرِ،
انثريني في المدى بلُّورةً
تمتصُّ ذرات الضبابْ

فلقد رأيتُ الماءَ يبكي في صنابير المدينةِ،
خِلْتُ أنَّ
الليلَ لا يرضى سوى بالليلِ،

والموتى يهزُّ رُفاتَها شوقٌ

إلى كَفَنٍ

فأخفيتُ الفجيعةَ في حقائبِ

نِسْوةِ الميدانِ

ثم مضيتُ مقلوعا كورد الشمسِ

أخشى أن يُرَى

ظِلِّي على المرآة مُنْشَطِرا فتنبحُ

خلفَ آثاري الكلابْ

ورتقتُ أشلائي بحبكِ، صِرْتُ

يا ليلى مياهَ النهرِ، رائحةَ الخبزِ،

نداوةَ الأرضِ الطَّريةِ،

صِرْتُ هذا الحاضرَ المخطوفَ،

نافذةَ الأحبةِ، هَمَّ

كل الناسِ، دمعا

في المآقي نابتا

ما عاد غيرُ الشوقِ يحرثني بمحراث الجنونِ
فربما إن جئتِ أسقطُ في ذراعكِ
مَيِّتا.

فبراير ١٩٧٦

النهر القديم

قمرٌ من الأسفلتِ..
أم حقلٌ من الحنْطةْ؟
أم موقدٌ خابٍ بلا أخشاب؟
أم مُهْرةُ المطرِ التي تعدو
خلال الغابْ
حُبلى بنارِ البرقْ
جاست خلال شُجَيرةِ الظمأ الخريفيةْ
أم أنتَ جِنيةْ؟
حَلَّتْ ضفائرَها
ونامت في سريرِ الشرقْ
أم أنتَ أقدامُ الرمال تَدُبُّ في التربةْ؟
تمشي..
وكلبُ الموتِ يتبعُ ظِلَّها
والصمتُ والرهبةْ.

عيناكَ حملقتا
فلم أعرفْ
عيناكَ مبصرتانِ
أم أعمى؟

والحبُّ إعصارٌ
وسكينٌ
وفَمٌ يُفَتِّحُ في دَمي حُلْما.

مجموعة تنشد:

طبـــولُ الحـــبُّ فـــي الـــوادي
تَـــدُقُّ وتلـــك أيدينـــا
تـــزفُّ الأســـمرَ الغـــادي
وتغمـــره قرابينـــا

صوت فتاة:

تعـــالَ إلـــيَّ يـــا حابـــي
وبَلِّـــلْ كُـــمَّ جلبابـــي
وخـــذني وردةً ظمـــأى
فـــإن المـــوتَ أولـــى بـــي

مجموعة تنشد:

تنـــامُ حقولُنـــا الليلـــةْ
علـــى وَعْـــدٍ وميعـــاد
لتمـــنح جيـــدَها قبلـــةْ
وتغمـــرهُ بـــأوراد

فوتوغرافيا

يتدفقُ النهرُ القديمُ من الجنوبِ إلى الشمالْ
متدافعا فوق القرونِ
ومُمْسِكًا سيفا
ومطعونا بسيفْ
الشمسُ تعبرهُ
وتلقي وردةً في مائهِ
فيفيضُ في السَّبعِ العجافْ
ويطوفُ ما بين الشقوق مُلثما
بدمائه الخضراءِ
ميمونَ الطَّوافْ

ويمـــــــرُّ عـــــــامٌ
بعـــــــد عـــــــامٍ
بعـــــــد عـــــــامْ

فإذا بلحيتهِ تطولْ

وعمودهُ الفقريُّ يصبحُ

مثل قوسٍ..

(كان في يده القديمة)

وإذا به شيخٌ

وقورٌ

طيبٌ

لا يطرقُ السبلَ القصيةْ

ويخافُ إن هزَّتْ رياحُ الفجرِ

أبوابَ المدينةْ

فيضمُّ معطفهُ

ويمضي عابسا فوق الطِّوارْ

يَرْنو إلى الأشياءِ في سُخْرٍ

وينظرُ في وجوهِ العابرينْ

لكنه ينسى

فيسعلُ سعلةً

ويمدُّ كفًّا بالسؤال.

مشهد من اللقاء

حبيبتي لا تحزني
فقد أتيتُ جائعا إليكِ
بعد صوم عامْ
أتيتُ جائعا
أدبُّ في معابر الظلام
مُخَلِّصاً مائي
ومنبعي القديمْ
مخلِّصا روافدي القديمة
وحاملا في جسدي
روائحَ العصورْ

- يا صاحبي:
جلستُ قربَ صدركَ العريضِ صامتةْ
مفتوحةَ الكفين كالدلتا
ومثلُها أنامُ ميتةْ

أحلمُ بالورودِ حول صدري المليء نابتةْ
أحلمُ بالشجرْ
أحلم بالسحاب والمطرْ
بساعد النَّهَرْ
مطوِّقا خَصري
ومُمْسكا يدي
وتاركا في بدني
لدونةَ النطفةِ حين ترتوي من وجعي
ومن دمي

– لقد أتيتُ يا حبيبتي الحزينة المشتَّتَةْ
أتيتُ يا حبيبتي الهاربةَ المنفلتةْ

– لكنني يا فارسي مازلتُ مقرورةْ
مفتوحةَ الكفين مقهورة
وسُرَّتي على الرصيف
وردةٌ مفتتةْ

يزني بها الصقيع والظلامُ والخطرْ
يزني بها السعالُ والجزامُ والسهرْ
فهل تجيءُ بعدما زنيتُ
بعدما بكيتُ
بعدما انتهيتْ؟

- لا تغضبي..
فقد حملتُ فوق منكبي
عباءَةَ الرجولةْ
تدثّري بها إذا أتى الشتاءُ طارقا
على ذراعكِ الجميلةْ

- يا طالما أتى الشتاءُ طارقا
وكنتُ ملقاةً بلا بابٍ ولا بوابْ
وكنتُ أشتكي إلى الرياحِ
علَّها تعودُ بالجوابْ
وتنقضي مواسمُ اللقاح دونما لقاحْ
وتهجرُ الطيورُ ساحتي

ويرحلُ الصباحْ
وبعدما اشتعلتُ وانطفأتُ
أياما طويلةْ
عرفتُ أنها الكهولةْ

كلمات من ذاكرة النهر القديم

تتكرني الضفاف والجزائرْ
والسمكُ المهاجرْ
تتكرنى الجسورُ والسدودُ والقناطرْ
(يا قادما من الجنوب كيف مت؟)
تتكرني الأشجارُ والأطيارُ والأزاهرْ
تتكرني الشقوقُ والصخورُ والمعابرْ
(كلبٌ يبولُ فوقَ ضِفَّتي)
تتكرني الأهرامُ والفسطاطُ والمنابرْ
تقول في سخريةٍ: يا أيها المغا.. مر
ويبصق الزمانُ فوق جثتي

أنا الذي..

(يا قادما من الجنوب كيف مت؟)
(يا راحلاً إلى الشمال كيف مت؟)

يطفو على ظهري حمارٌ ميتٌ
ويقذفُ الرجالُ أعقابَ السجائرْ
أخذتُ منها طفلها النبيّْ
داعبتهُ..
حملتُهُ على يديّْ
وعندما بكى ابتسمتُ
ماسحا جبينَهُ المضيءَ بالبشائرْ
(يا أيها المغا.. مر)

- حبيبتي.. لا تحزني
لأنني قتلتُ مرتينْ
لأنني هزمت مرتينْ

لأنني انتحرتُ مرتينْ
أتيتُ قابضا على دمي

ألقتْ إليَّ نَفْسَها
فاتنةً مُزَوَّقةْ
حمامةً مُطَوَّقة
شَمَمْتُ وسط شَعْرِها
رائحة القرنفل المُحلِّقةْ
لمستُ خدَّها
لمستُ بطنها
لمستُ جيدها ونهدها وفخذها
وشُفَتُها
وبعدما تَحَلَّلَتْ في دمي الجائع وامتصصتُها
في داخلي..
تكامل الطميُ
وماءُ النيل والسَّمَكْ
تكامَل البرجُ

وشوقُ الناسِ
والفلكْ

- بتاحُ هل سمعتْ؟
- ماذا جرى؟
- النهرُ قصّوا شاربهْ
- ماذا تقولْ؟
- النهر قصّوا شاربه
- النهر قصوا شاربه؟
- أجلْ
- وكيفْ؟
- سطا عليه قائدُ الهكسوس
وكان قادما من الشرقِ
على مركبةٍ حربيةْ
مُتجها إلى أواريسْ
عندئذٍ..
أمكنه أن يلمحَ النهرَ القديمُ

مُزَركشاً

مُدَنْدشاً

فاستوقفهُ..

طالبةُ بالجزيةْ

لكنه رفضْ

فأمر الجُنْدَ (مهددا بسيفه البُرُنْز)

أن يوثقوهْ

فأوثقوهُ بالحبالْ

وربطوه في الجذوع الخاويةْ

وبعدها..

جاءوا إليه بالمقصِّ

ثم قصُّوا شاربهْ

قبلتُها.. فابتعدتْ

تعثَّرتْ في لحيتي الفضِّيةْ

سألتُ عنها حينما افتقدتُها

فقالت الرياحُ

بينما تدور في البريَّةْ
تكون يا صديقنا
أو لا تكونْ
تلك هي القضية.

نوفمبر ١٩٧٢

أغنية حب..

إلى وردة الإسمنت

تتدفقينَ..
وكان وجهُكِ صامتاً
من فَرْطِ ثرثرة الملامحِ
والقطاراتُ التي تأتي
من المجهول مارقةً
على الجسر القريب تذوبُ
في سعة المدى
وتُخلِّفُ الألمَ الخفيَّ
وتوقظُ الحزنَ المكابرَ
ثم تُنْبتُ وردة الإسمنتِ
في ثدييكِ حارقةً
فترتعشينَ، يحمرُّ الفضاءُ،
ويسقطُ البلحُ السمانيُّ المدلَّى

من نخيل الجوعِ

يتركُ في دوائر كَفكَ البيضاءِ

مَلْمسَهُ،

ويرحلُ في مسامِّ الجِلْدِ

نحلا لاسعاً

ودما غريبا

تاه بين مسالك الجسد الذي

شَقَّتْ به شمسُ الظهيرةِ

منفذا للموتِ

هل هذا السكونُ دمٌ تَخَثَّرَ

فوق سكينٍ؟

أم الأهدابُ حُلْمٌ

في سديم الشوقِ

يرتقبُ الجنونَ؟ ويستديرُ

خلال ضوضاء المياهِ

ووسط رائحة البكورِ

مغامرا

ومسافرا

هل أعشقَ الحزنَ المُعَشَّشَ في

قميصكِ مثل أسراب اليمامِ؟

أم الهوى المكتومُ في شفتيك

أغراني؟ لأرسمَ فيهما

عطشي وجوعي

كي أعود كما يعودُ النهر

والسَّمَكُ المهاجرُ

والحصانُ المتعبُ الساقينِ

فاطمةٌ..

ينادي ريسُ الأنفارِ

من شقِّ الترابِ المستطيلِ،

فتنحني سَقَّالةُ الشوقِ

المسافرِ، يصبحُ المطرُ المُعَبَّأُ

فوق رأسكِ قريةً،

والحُزنُ جُرْنا،

يصبح الجلبابُ ساقيةً

وإبريقا

وخُبْزا

تتركُ العرباتُ فوق الجسرِ آثارَ

الإطارات الجديدةِ،

ثم تخطفُ من ضلوعكِ

صيحة الطير المهاجرِ

تمزجُ الثديين في سَعَف النخيلِ

وفي جذور القطنِ

والعَبَّادِ، والورقُ المهشَّمُ تحت أقدامِ

البناتِ يطيرُ عاصفةً

على شَقِّ التراب المستطيلِ

وأنت ترتعدين فوقَ

الشِّقِّ، حينَ

تَوَتَّرَ الظهرُ المُقَوَّسُ قاذفا
في ظلمة الأرضِ
اللُّهاثَ،
ويستقيمُ الظَّهْرُ ثانيةً،
ويهدأُ بين جنبيكِ
الحنينُ، يسيلُ فوقَ
بياض ثديك خِلْسَةً
عَرَقٌ خفيفٌ..
يمسحُ الألمَ المخبَّأَ في
نسيج الطرحة السوداءِ،
يُفْلتُ آهةً،
وتُحَدِّقينَ إليّ في
جَزَعِ السحابةِ
حينما أبصرتِ فوق ملابسي
بُقَعاً من الأسمنتِ
طارت منك

راسمةً خطوطا فوق صدري
لونُها لونُ الرصاصِ
وتستديرُ تصيرُ نخلا
طالعا في رُقْعة الروح – الفراغِ،
وتستديرُ
تصيرُ ساقيةً
وإبريقاً
وخبزا.

نوفمبر ١٩٧٤

الخروج

يضمنا القطارُ ساعة الصباح جُثتينْ
وساعة الأصيل جُثتينْ
أراكِ من زاوية العين جريدةً مَطْوِيَّةْ
وراية مُنَكَّسَة
وكلما حَدَّقتُ فيك صاحبي
أبصرتُ قنديلا بلا زيتٍ،
وأرضا يابسة
أبصرتُ وجهكَ الذي يضيعُ مني
في محطات القيام والوصولْ
من غير أن أقولَ
(حينما يهزُّني الحنينُ للكلامْ)

شيئا

وحينما يَهُزُّني الحنينُ للسلامْ

أو الحنينُ للبكاءْ

أو الحنين للمسامرة

وحينما ارتميتُ في الطريق فجأةً على يديكْ

قتلتني

قتلتني،

فانغرس السكينُ في جبينكَ الصغيرْ

أسكتني..

فلم أنمْ

ولم تنمْ

وضمَّنا..

أنا وأنتَ

في مزابل الطريقْ

قبرٌ بلا شاهدْ

يا قاتلي المقتولَ من أغراكَ بي؟
يا من دسست السمَّ لي
ففتلكْ

الرملُ صار كعكتي
والصمتُ صار كعكتي
والموتُ صار كعكتي
وحينما بشمتُ متَّ أنتْ
متنا معاً
متنا معا
أنا..
وأنتْ

أخرجُ من جِلْدي
ومن ملابسي القديمة
أخرج من ملامحي

وطول قامتي ولون شَعْري
أخرج من طريقة انفعالي الكظيمةْ
أخرجُ من صَبْري
ومن نفاد صَبْري
مُنطفئاً كأنني الشهابُ
مُرْسَلا كأنني الشجرْ
أخرجُ من عُمْري الذي يسيلُ أياما بلا معنى
كما تسيلُ فوق مُنحنى الطريق دَفْقةُ المَطَرْ
أخرجُ من حُبي مُشردا
وحاملا كالعاشق العظيمِ
قلبيَ الذي انتحرْ
أسيحُ درويشاً
يفتشُ السحابَ عن ماءٍ
وينشرُ الخبرْ
فهل تُرَى..

إذا إذا أتيتُ عاريا حتى العظامِ
جائعا حتى قرارة القرارْ
أكون قد بدأتُ حيثما انتهيتُ..
واكتسيتُ
من ملابس الخطرْ؟
أم أنه رملٌ زمانيٌ
يثورُ ما بين الجفونْ
ويزرع اليقينَ بالظنونْ.

١٩٧٤

العبور

أبحثُ يا مدينتي
عن طائرٍ يحملني
عن خنجرٍ يذبحني
أغنية بلا طبولْ

أبحثُ يا مدينتي
عن مطر يُنْبِتني
عن شاعرٍ يَهُزُّني
على مشارف الخروج والدخولْ

أبحثُ يا مدينتي
في وجهك الصخريِّ عن ملامح الجنونْ
لعلني أضيعُ فيها مرةً

أو مرتينْ
لعلني أُجَنْ
لعلني أجيءُ في مواسم القبولْ
بمشعلٍ وفُلَّتينْ
وأرسمُ العبورَ فوق جسدي علامةْ
وأرسمُ القيامةْ

أبحثُ يا مدينتي
عن صاعقٍ يضيءُ بالشهادةْ
وجهي، يغيرُ الفصولْ
يشعلني بالكفر والعبادةْ
فأرتمي على دمي القديمْ
مُمَزَّقا ألتمُّ وسط موجة الريادةْ
وأشربُ الشموسَ والنجومْ

أبحثُ يا مدينتي
في قلبكِ المطعونِ بالبكاءْ
في صدركِ المخنوق بالوباءْ
عن شهقة الدماءْ
عن صيحة النبات في البذورْ
عن كوكبٍ يدورْ
يلقي بصدري كلما دنا
سهامَ النورْ
فأرتمي مُقَبِّلا يديكْ
وحين أسمعُ النداءْ
أقولُ يا مدينتي لبيكْ
أقولُ يا مدينتي لبيكْ.

٢٠ نوفمبر ١٩٧١

الدخول

سأجيءُ يوما أحملُ البشرَي إليكْ
وأقولُ كان الليلُ أعمى
والسماءْ
خرساءَ، والقمرُ الصغيرْ
يسري فتخنقهُ السحابةُ مرةً
ويضيعُ منها مرتينْ

وأقولُ كان الشوقُ مِسْمارا بصدري
كلما ناديتُ آه..
ردَّتْ مياهُ النهرِ والأرضُ البعيدةُ والجبالْ
والمسرحُ الخالي، ونورُ الشارع الليليُّ،
والرجلُ الغريبْ
وأقولُ كانت وردةُ الأيام ذابلةً

وأوراق الرياحْ

صفراءَ في شجر الجنونْ

والبلبلُ الثرثارُ أغرتهُ العجوزُ الساحرة

فدنا..

ولَقَّطَ حِنْطَةَ الخرس الطويلْ

من فوق خرْقتها،

ونَفَّضَ ريشَهُ،

وطوى الجناحْ

وغدا قعيدا..

أبْلَهاً..

يخطو..

فيضحكُ لارتعاشته القمرْ

والفجرُ حين يجيءُ

يعبره بلا ريحٍ

ولا صفصافةٍ في الماء تنتظرُ

أو فضاءْ

مطرٌ من الجمرات يسقطُ في دمي
والشوكُ أعطاني نصيبي
والصباحْ
يبكي على صوتي المُسَمَّرِ في توابيت الجراحْ
يجري..
ويرشقُ في ردائي وردةً،
ويجوس في لحمي
وأعصابي
وفي صدري الطعينْ
كالنار يملؤني
فأشرقُ بالكلام وبالجنونْ
كالنهر يغرقني
فأعرف للردى مدناً
تدورُ الشمسُ فيها مطمئنة
أغدو بها طفلا ينام على جناح الموت

يطعمني رغيفَ النورِ
والمطرَ الملونَ بالدماءْ
وأجيءُ مُحتملا من الأمواج أجراسا
ومن عشب الظهيرة طُحلُبا
ويفرُّ طيرُ الرُّخِّ من صدري صغيرا أزغبا
والبرقُ ينقشُ سُمْرَتي
في مصحف الغضبِ الجديدْ.

أنا قادمٌ
الريحُ معْطفي المُطرَّزُ بالحنينْ
والمستحيلْ
سيارتي..
وبطاقتي،
والشمسُ داري
والمدى عيني

وأوراقي السمواتُ البعيدة
والليلُ مَخْبَرَتي
وأغنيتي جديدة
النارُ حَرْفٌ صائتٌ فيها
ومِدْفَأتي البشرْ.

مايو ١٩٧٢

قراءة البحار واليابسة

تحطمي..
تمزقي،
واحترقي،
وداعبي قيثارة الجنونْ
ودمدمي،
وانفلقي،
من بذرة الفوضى
ومن سحابة اليقين والظنونْ
فعينكِ اليمنى أصابها النعاسْ
وعينكِ اليسرى أصابها الأرقْ
وها أنا..
سيفٌ من الورقْ
وقبضة من الأسى

ومُقَلةٌ من النحاسْ

لا تغضبي

فالموتُ في تقاطع الطُرُقْ

وفي زنابق الحدائقْ

والموتُ في الأرحام والشرانقْ

والموتُ في الدفاترْ

الموتُ في المحابرْ

الموتُ حلَّ جمعتينْ

حلَّ ولم يسافرْ

لا تسألي عني الطريقَ

فالطريقُ لا تجيبْ

وهذه الأشجارُ لا تجيبْ

والقلمُ الصامتُ لا يجيبْ

لا تسألي عني الحمامة المهاجرة
لأنني ضيعتُها
لأنني علمتها البكاءَ لا الغناءْ
وخنتُها..
حين أتتني تشتكي الصيادَ والسكينْ
تبحث في صدري الطعين عن ملاذها

لا تسألي عني مداخل المدنْ
لأنني نسيتُها
حين تمزّقتْ خريطةُ الزمان والمكانْ
تعطلتْ سيارتي
على تقاطع الدخولْ
واشتعل الأسفلتُ من دمي الغريبْ
ووجهي الغريبْ
ولكنني الغريبة

الليلُ كان عابسا

وكنتِ عابسة

وفي الفضاء كانت الطيورْ

وكنتُ أقرأ البحارَ مرةً

واليابسةْ

وكنتُ أقرأ الأجراسَ والزهورْ

وأقرأ المحارَ والدلتا

ودمعةً مشاكسةْ

وكنتُ أقرأ الوقوفَ والعبورْ

وكنتُ جائعا..

أردُّ جوعكِ الطويلْ

وأملأ الجِرابَ من حدائق العويلْ

ومن حدائق الكلام والجنونْ

ومن حدائق الأكفِّ والعيونْ

والليلُ يرتمي..

وها أنا
مُمَزَّقٌ هنا
أراكِ من خلال موتي
ضاحكةْ.

إبريل ١٩٧٢

مذكرات جرح

يتوضّأُ الدمُ بالجراحِ، فأنصتوا
للشمسِ..
حين تحلُّ مئزَرَها
وتشهقُ في ضلوعي
للريح حين تصيرُ صاريةً ووردا
فوق يابسة السنينْ
للموت حين يفكُّ شَفْرتَهُ ويمسحُ
وَجْهَهُ الرمزيَّ في أصل الجذوعِ
للنار حين تصير زنبقةً تفتّحُ
في شرايين الجنينْ
إني أغني
فاسمعوا صوتي المُنَقّبَ في خليج الجسمِ
عن عُشْبِ السقوطِ،
ونورسِ الأرض الجديدةْ.

-٢-

للبحر أسماءٌ كثيرة
اسمٌ يوحِّدُ بين وجه البحرِ
والجُزُر المنيرة
والمدُّ اسمٌ آخرٌ
شَبَكَتهُ كَفُّ الريحِ في السُّفُنِ المغيرة
والموجُ أَحْرُفُ اسمه المجدولِ حولي
كالضفيرة
والموتُ من أسمائه المتفرقات
ككومة الرمل النثيرة
والباقياتُ نسيتُها،
فتركتُ اسمي في المياهِ
كوردة البرق الأميرة.

-٣-

قلتُ الرياحُ عشيقتي
فغضبتَ مني
ورجمتني بالصمتِ
قلتَ: إليكَ عني
وتركتَها في الليلِ
تقرأُ كفَّها..
وتسيرُ حافيةً
فهل تقعُ النجومُ على شباكي؟
إني احترقتُ فما عَميتُ
وسرتُ في طُرُقِ الهلاكِ
وكتبتُ للشمس التي ما شوهدتْ
إني أراكِ
ورحلتُ حول مدارها طفلا مهاجرْ
البحرُ يعرفني وأعرفهُ
وتعرفني الجهاتُ الأربعةْ

والشمسُ عاشقةٌ يُذَوِّبها الحنينُ
فلا تُرَى إلا مَعَهْ

يا شمسُ يا سَعَفاً
وخاصرةً
ورسْماً في تميمةْ
يا خُبْزَنا المغموسَ في جُرْح العيون المُطْفَأةْ
هاتي أكاليلا من الضوء المغامرْ
وخذي حشائشَ صمتنا
المزروع في أرض الجريمةْ
يا شمسُ..
يا وطنَ الوعود المرجأةْ.

-٤-

من يُسْمِعُ العنقاءَ صوتي؟
من يُرَابطُ بين وجهي
والغيوم الثائرة؟
من يطلقُ الفَرَسَ الأسيرةَ
من يدقُّ خلالَ هذا الليلِ
أجراسَ الجموعِ النافرةْ
من ينتشي بالموت
حين يصيرَ الموتُ منديلاً
وفاكهةً
ونخلا
وابتساماتٍ حزينةْ
فلقد تناسلتَ الوحوشُ الكاسرةْ
ومضتْ

تُدَخِّنُ في الشوارع تَبْغَها
وتدير عينيها
لتوقعَ في شباكِ الصيدِ
أسماكَ المدينةْ.

-٥-

آه..

(تكسرت النصالُ على النصالِ)

يا أيها الليلُ المُطَرَّزُ بالكلاب وبالجريمة

غَفَتُ العيونُ،

وها أنا

أمضي

بقنديل الجراحْ

أسترجعُ الشجرَ الذي قد عاد توا للبذورْ

أسترجعُ المطرَ الذي قد عاد توا للسحابة

وأقولُ يا حجر الكآبة

قلبي ثقيلٌ..

هل يفيد الشِّعْرُ للقلب الثقيلْ

وأقولُ يا زمنَ الكآبة

عُمْري عليلٌ..

هل يفيدُ الشِّعْرُ للعمر العليلْ.

مارس ١٩٧٥

فرس النور

يا راسما في الريح طَلْعَتَهُ الربيعية
أقبلْ..
وهُزَّ دمي
وارفسْ بحافرك المُفَضَّضِ جَبْهَتي
واملأ بطاقاتي
صُوَرا لعينيكَ الحزينة في ليالي العارْ
وانفضْ بحنجرتي
قمرا
وشمسا تمسحُ العتمة
أطلقْ على عمري سباعَ النارْ .
لتطيرَ بي..
حتى تخوم الويلِ
محمولا بلا رحمة

فترنُّ أيامي على جبل النحاسِ
وتشعلُ الكلْمة
جُزُرا..
من البرق المُعَبَّأ بالردى والنورْ
يا آتيا من باطن الأشياءِ
ينفخُ في الجياع الصُورْ
مَدَدًا وعَفِّرْ بالسنا روحي
وأنزلْ في يدي غَيْمَة
طال الطريقُ الوَعْرُ بين الفجر والظلمةْ
وسمعتُ صوتا خِلْتُهُ مطرا على دربي
لكنما قد كان وجهُكَ يبتغي وطنا
فبكيتُ من فَرْطِ الحنينِ
وشُقَّةِ السفرِ
وعلمتُ ليس سوى دمي
ترضى به ثمنا
فاحْلُلْ..
رضيتُ بقسمتي وضراوة الخطرِ.

-٢-

يا أيها الفَرَسُ المُنَوِّرُ هَزَّني الخوفُ
وأنا أراكَ مطاردا
وسط الليالي السودْ
تبكيكَ ريحُ الفجر والصيفُ
والشمسُ والزهرُ المُلَوَّنُ
والمدى الموعودْ
شَدَّتْ عليكَ خناجرُ الثلجِ
فَتَحَيَّرَتْ عيناكَ من مَرْجٍ
إلى مَرْجِ
ووثبتَ في الآفاق وثبتكَ الإلهية
يا سارقَ النيران من قارورة الأسرارْ
يا مُشْعلا شِعْرَ البطولةِ
في دَمِ الأمطارْ
يا غازفا..
والأرضُ تسمعُ

والنخيلُ
وبيرقُ الثوارْ
كيف اللقاءُ بنارِكَ الخضراءْ
وعساكرُ الشيطانِ تملأُ مهجتي أرَقا
وتمرُّ تقتلعُ الزهورَ
وتسقطُ الورقا
في سلَّة الليل الطويلِ
وتمسح الأشجارْ
بالجوعِ..
ثم تغيبُ في رئة من الفَخَّارْ

-٣-

كانت خيامُ الكُفْر حولي
والطريقُ إليكَ في سُبُلِ الهَوَى مقطوعْ
إلا طريقا صُنْتُهُ
في صدريَ العاري
سنينَ الجوعْ
لم تقطعِ الأحزابُ سِكَّتَهُ
ولم تعبرهُ غيرُ الريحْ
تَسَّاقطُ الأعمارُ حول مساره المشبوحْ
أجتازهُ..
وسلامتي في بَرْقه المخضوب بالحِنَّاءْ
وأشُمُّ خلف جباله ريحا من الجنَّة
حاربتُ فوق رصيفه المحروقِ
واحتضنت دمائي
دهشةَ الميلاد والموتِ
وغرابة اللُّقيا بغول الحُبِّ

وسط مفازة الصمتِ
يأتي إليَّ مُهَرْوِلا
ويُكَوِّرُ الإعصارْ
في جُعْبَتي خُبْزا إلهيا
ويطعنني..
بالبرق ثم يَمَسُّ قلبي مُشْعِلا
ومُعَمِّدا بالنارْ
فأجيءُ ألتمسُ الطريقَ إليكَ تمنعني
وثنيةُ الظلماءِ
والأنصابُ والكُفَّارْ
وأسلُّ سيفكَ حول ماء الخَنْدق الملآن بالرحمة
مُتَجَوِّلا بالحُبِّ
وسط مدائن الرعب الخرافية

-٤-

عن وَجْهِكَ الوهَّاجِ تنحسرُ الينابيعُ
وأراكَ بين سنابل القمحِ
ترنو..
فينحسرُ الردى والخوفُ والجوعُ
وأراكَ بين السيفِ والجُرْحِ
في العُرْس بين الفتية الشادين كالأطيارْ
مترقبين مشاعلَ الصُّبْحِ
في آهة الرجل الذي يبكي
ويموتُ بين القَبْضِ والمَنْحِ
في آخر الأنباء عن مدن بلا أقمارْ
صُلِبَتْ على خَشَبِ المغولِ
بليلة الرعبِ الشتائية
وأراكَ بين الصبية الفقراءِ
تطعمُهُم رغيفَ النارْ
وتجوسُ بالصرعى..

إلى بوابة الفجر الرمادية
في الليل..
تجري بالبشارة والمزاميرِ
وتَغَطُّ ساق البلدة العرجاءِ
في نهر الأساطيرِ.

سبتمبر ١٩٧٠
يناير ١٩٧١

شظايا من القمر الأسود

-١-

أتيتُ حمامةً هَزَّتْ جناحيها
على شَجَرِ الهوَى
والتين والسكك الخرافيةْ
تفتّحَ في دَمي وردُ الجنونِ
فقبلتي نارٌ
وجَفْني مِزْوَدٌ للدمعِ
والصور الربيعية
ورُمْحُ الحُبِّ في كَبدي
يشرِّدُني
خلال معارج الظلمة
ويرميني جوادا مُسْرَجا

بالنور والكِلْمَةْ

يُحَمْحمُ في معابرها

فتصحو النارُ في الأحجارْ

ويصحو الماءُ في الآبارْ

وتصحو في فروع السَّرْوة الأطيارْ

وترتجف الرُّطوبةُ في غيوم الفجر كالنسمة

وجِئْتُ إليكِ.. كان أبي

رفيقا بيع في سوق الأسى والجوعْ

على زِنْديه وَشْمٌ

من زهور الفقر والتعبِ

وفي أحشائهِ ألمٌ

له نابٌ

يَعُضُّ على الحشا الموجوعْ

فيدميه

ويشعلُ في دمي

قيثارةَ الغَضَبِ

وكنتُ أراه ينتعلُ اللصوصُ دماءَهُ
فيصيحْ
بلا صوتٍ: تعالَ وروِّ عُمْري
إنني ظامي
تحطمَ ساعدي فكن الجبيرةَ
وافتح الأبوابْ
لريح الفجر والإعصار والبرقِ
وكن خُبْزا بأفواه الجياعِ
ودمعةَ الصدقِ
وكن للرفض سكينا
وكن شمسا
تُقَبِّلُ حافةَ الشرقِ

ويملؤني كلام الصمت بالأشعارْ
فأنزفها على الورقِ
تحطَّمَ مِشْعلُ الأيامِ
في كفيكَ يا أبتي

فلملمْ عُرْيَهُ المفضوحَ

وانفخ فيه من رئتي

وخُذْ في موسم الثلجِ الطويلِ

دَمي ومدفأتي

وإن طال الطريقُ يدي

وأزوادي وراحلتي

فإني قادمٌ عبر الأسى

والرعدُ في شفتي

أقصُّ حكاية الأفعى

وأحفرها على لُغتي

وجئتُ إليكِ يا سمراءُ، كان الليلُ يفتحُ بابَهُ

ليمرَّ منه الخوفُ والتعتيمُ والحزنُ

وآهاتٌ تُدَوِّمُ في الخلاء عريضةٌ

تخبو قليلا..

ثم يعزف لحنَها الكونُ

تركتُ زوارقي في لُجِّها دهرا

فألقتني صريعا
ألقطُ الأصدافْ
على شُطآن موتي، أمتطي
عُمْري بلا مجدافْ
قرأتُ كتابة الرُّعْب الغريبة في دفاترها
فرحتُ أمزّقُ الأسدافْ
وكنتُ الزورقَ المكسورَ
والملاحَ والعَرّافْ
أمُدُّ يدي
إلى شجر الخصوبةِ
للدم اللزج السخينِ
لضحكة الجوعى
تَفَتّحُ في شرايين البحار كأنها قمرٌ
تدحرجَ في مدار العمرْ
كأن عبورَها وسط المحاقِ
نُجَيْمَةٌ..
تطفو على ماء الدُّجَى
في عُرْيها الخارقْ

تعاليْ في المساء حبيبتي
فالقلبُ مَزّقه الحنينُ
وهدَّهُ السَّفَرُ
وهاتي من حصاد السُّحْبِ
ما يسخو به المطرُ
وهاتي وردة حمراءَ أرشُقها
على عُمْري
لأضحكَ مِلءِ فجركِ بالندى والنورْ
ولا أكفرْ
وأمسحُ غربتي
في ثوبكِ الأخضرْ

١٩٧١

المخاض

يا مصرُ مفتونا ولدتُ على يديكِ
يُفَتِّحُ الإعصارُ في شريان قلبي وردةً
ويبيحُ للمطر المقدسِ صدريَ الشاكي الحزينْ
فإذا ظمئتُ امتدَّ في دلتا عروقي
نيلُ عينيكِ الشَّقيةْ
فكأنما أحزانكِ التي جَمُدتْ كلوح الثلجِ
في أعماق روحي
شاهدتْ
نارَ الذي صلَّى له موسى بسيناءَ النَّبيَّةْ
وكأنني ما ذقتُ يوما منذ أن مَخَضَتْنِيَ الدنيا
غلاما ميتا حيا
وحيا ميتا
طعمَ الذي تُعْطيهِ من شفتيكِ للجَسَدَ الطعينْ

وكأنني أهوَى شوارعَكِ التي قد أظلمتْ
هذا الظلامَ النورَ وانبعثتْ تقاتلْ
فتدُبُّ في الأوصال خطفةُ صاعقٍ
تسري بأطرافِ الأناملْ
يا مصرُ صامَ المسلمون على السويسِ
وأفطروا..
في داخل الأرض الحزينة
فكأنما قامَ الحسينُ، تواصلَ الرأسُ الذبيحُ
وجسمُهُ المدفونُ في أرض العراقْ
ومشى..
كما تمشي الجداولُ في أديم الأرضِ
أو تمشي القوافلُ في غبار الحَجِّ
أو يسري البُراقْ
وإذا الرمالُ تصيرُ قنديلاً
وأحزانُ الرجال غمامةً
الريحُ تحملها بعيدا
خلف أهداب الجفونْ

والأرضُ خاصرةٌ تذوبُ بساعدي
فإذا بكيتُ بكاءَ جُنْديٍّ عنيدٍ
هَزَّ صدري صدرَها
حين احتدام الشوقِ
في نَفَسٍ تُرَدِّدُهُ الضلوعُ معا
وتنقلهُ الدموعْ
وأراك تغتسلينَ تغتسلينَ
حتى شَفَّ جِسْمُكِ
صارَ زنبقةً..
تُعَلِّقُها الجنودُ على بنادقهم
ويرتحلونَ
في لَهَب الردى والجوعْ
يا مصرُ كان الموتُ يمشي
في عروقي كاسحا
كالسَّيْلِ والسِّكينِ
مجنونا
ضريرْ
يمضي..

فتنتفضُ الدماءُ كرايةٍ حمراءَ
نَكَّسَها الزمانُ على تراب اليأسِ
في طُرُق الهزيمةْ
ويجِفُّ نَبْعُ الشِّعْرِ في شفَتَيَّ
أعواما طوالا
صِرْتُ أَعْيَا بالكلامِ
كأنني طفلٌ غريرْ
واليومَ..
حينَ أراكِ ترتعشينَ في ماءِ المخاضِ
أصيحُ ما بين القبورْ
إني وُلِدْتُ..
فقيدوا تاريخَ ميلادي
على رَمْلِ العبورْ.

٧-١٠-١٩٧٣

الوقوف على الركبتين

الشارعُ المحمولُ في سيارة الظهيرة
يَخلَعني..
كالجَورْبِ المثقوبِ ثم
ينحني
يَلُمُّني من بعد ما انفرطتُ وانشطرتُ وانحصرتْ
من بعد ما بكيتْ
من بعد ما خرجتُ أو عبرتُ أو دخلتُ
من بعد ما صَلَّيْتْ
يا مُستَطيلَ الضوءِ بَدِّدْني غبارا ناعما
واجعلْ دمي قُطْبا
لريح الكونِ
أو بابا لنور الشمسِ
أو شَجرْ

يَنمو على رُخام ضِحْكَتي إذا ضحكتْ
فالعالمُ الذي يَلُفُّني كأنه كَفَنْ
يَمْتَدُّ في كلِّ اتجاه
ثم يستطيلُ تاركا
حذاءَهُ وجَوْرَبَهْ
مُنزلقا في بِرْكَةَ الكلام لَيِّنا وباهتا ولَزِجا
العالمُ الذي تناسلتْ نجومُهُ
شموسُهُ، نساؤهُ
أوراقُهُ، طُرُقُهُ، مساكنُهْ
حتى غدا تكوينُهُ الرَّمْلِيُّ حاضرا
في كِسْرَةِ الخبْزِ، وفي كوب اللبنْ
العالمُ الذي يبيعني بلا ثمنْ
يرمقني خلال نظَّارته الطِّبية المُلَوَّنَةْ
ثم يديرُ رأسَهُ وينصرفْ

لمن أردُّ هذه الإهانةْ؟
ومن أمدُّ في عينيه إصبعَ الإدانةْ؟
يا سيدي..
يا سيدي المُعَظَّمُ المُبَجَّلُ المُحْترم الهمامْ
أقولُها..
لو كان يُجْدي عندكَ الكلامْ
ثم أعيدُها عليكَ مرتينْ
أنتَ الذي أطلقتَ هذا الوحشَ نحوي
أما أنا..
فإنني أسيرُكَ الأخيرْ

أقولُ للسحابِ يا سحابْ
لا تُمْسك المطرْ
أقولُ للأنهارِ حينَ يُورقُ العذابْ
لتنشري مظلَّةَ الحوارِ بين الماء والشَّجَرْ
أقولُ للسبيلِ حينما يصيبني الضَّجَرْ
أشْعِلْ لِفافتي

وخُذْ ملابسي الثقيلة
وفُكَّ رَبْطَةَ العُنُقْ
ولا تدعني فوق ذلك الطِّوارِ أحترقْ
فقد تَحَدَّرتْ..
على الجبين قَطْرَةٌ من العَرَقْ
مسحتُها والريحُ جافةٌ
تحثو على الرؤوس بالترابْ
وتملأُ الطريقَ بالوَرَقْ

لو قلتُ للموجة يا غزالة
لا تشردي
فقد جعلتُ من صدري سَكَنْ
ولتحمليني نحو شاطئ الوطنْ
سمكةً.. قارورةً.. رسالةْ
ولتذكري في البَرِّ يا غزالةْ
العاشقَ الذي قد هَزَّهُ الشَّجَنْ
فسارَ في المساء مُلْقِيا حِبالَهْ

لكي يصيدَ من سماء الموتِ طائرَ الزَّمَنْ
ويمسحَ الوجوهَ من ملامح النَّذالةْ

لو قُلْتُ أو لو أنني ما قُلْتْ
وبُحْتُ مَرَّةً، وبعد ساعةٍ سكتْ
ثم انتفضتُ جائعا
كما يجوعُ الطَّيْرُ والشَّجَرْ
وخِفْتُ مثلما يخافُ الماءُ في الصُّنْبورِ
والترابُ في الحُفَرْ
فلستُ أعني أنني انكسرتْ
ولستُ أعني أنني ركعتْ
لكنني فقطْ
وقفتُ فوق الرُّكْبَتينْ.

مايو ١٩٧٤

الجريدة عندما تضحك

من فورة المداد

من فورة الأحمر والأبيض والأسود

من فورة الحركة – السكونْ

من فورة الموتْ – الجنونْ

من فورة الموضة والعُرْي وأوجه النساءْ

من فورة المبارياتْ

وكرة القدم والأفلام والمصارعة

والكلمات المتقاطعة

من فورة الشَّعْر الطويل والقصير والسوالفْ

من فورة المزايدات والمناقصات والقروض والمصارفْ

من فورة الآمال والأحزان والمخاوفْ

وصور القتلى وأوجه المشردين والمشوهين والجياعْ

من فورة الضياعْ

والساسة الصغار والكبار والضباعْ
من فورة الذبح الذي بلا قناع
تلتمُّ يوما أحرف الجريدة
تلتمُّ مثلما تلتمُّ أحرف القصيدة
تصيرُ ضحكة وقُبلة وقصة جديدة
تقول إن كلبا من كلاب الأرض مات.

٢٩- ١١- ١٩٧١

لا تنكرني

حين أجيئكِ.. ثَوْبي مِزقٌ

وفؤادي مقروحٌ عانٍ

ودمي يطفحُ بالصَّمتِ

برمال سوداءَ تُعَفِّرُ عُمْري

لا تنكرني

حين أجيئُكَ أعمى

وسط العُمْيانْ

عُكَّازي يدفعُهُ في الدرب ذراعُ الشيطان

مقرورا.. جوعانْ

محزونا.. عطشانْ

لا تنكرني

حين أجيئُكَ موسومٌ زندي بالنارِ
أخفي عن أعينك النَّفاذة عاري
فاسترني – يا أنت – ولا تنكرني

حين أجيئُكَ أبحثُ عمَّا سرقتْهُ الأيامْ
عن لحنٍ يَطْويهِ الكتمانْ
وتَرَى بجبيني ما خلَّفه النُّكْران
لا تنكرني

فبحارُ الرَّملِ طوتني،
والزورقُ تاهْ.

١٩٦٧-٢-١١

لو كان الموت طريقي لك

لو كان الموتُ طريقي لكْ
نافذتي..
أبصرُ منها وجهَكْ
لأتيتُ..
وقلبي يهتفُ حيًّا بالأملِ
يهتزُّ بأشواقِ الأزلِ

لو تهتُ بهذي الأرض الملعونة
لو ذئبٌ مسعورٌ قابلني في دَرْبي
إن لم تحملني ساقايَ إليكْ
ماذا أفعلْ؟

أفراحُ الدنيا..
لن تُلْهِيَني عن فقدكْ

أعوامي العشرون ستأكلني
سأشيخُ وتصلبني الأيامْ
ستعلقني أيامي
فوق صواري الليلْ
ليس شهيدا..
بل كالكلب المقتولْ
وستملأُ أنهاري جُثثُ الموتى

ولأنك أمي وأبي
سأعيشُ يتيما في هذا التِّيه
وسأرضعُ سُمًّا من ثَدْي العالمْ
أتهاوى في الطرقات، أضيعْ
وربيعي..
لن يغدوَ في العُمْرِ ربيعْ
وسيضربُ حتى الموت
فادنُ مني
قَرِّبْني يا أنتْ.

١١-٣-١٩٦٦

ضفيرة الظلام والقمر

يدقُّ على جدار الليلِ شُبَّاكٌ
فأعلمُ..
وسط آلافٍ من الأصواتْ
بأنكِ جئتِ..
يُوقدُ في دَمي قَمَرٌ
ويضحكُ في نوافذ بيتكِ النُّورُ
ويبزغُ وجهُكِ المرسومُ
في قلبي
ضحوكا باسه الفجرُ
وندَّاه الهوى..
والريحُ والأزهارُ والشِّعْرُ
يُطلُّ دمي عليكِ ويورقُ الصَّخْرُ
وتَنْفَضُّ الليالي السودُ عن دربي

وأبصرُ في عيونكِ مرفأي

ومنارتي

والزادَ والمجدافَ والقاربْ

وأبصرُ فيهما خِلاًّ..

أوافيه فيلقاني

صدوقا في ليالي الجوع آخاني

وجِئتُ إليكِ مقتولا

يتيمَ الأخ أبحثُ فيكِ عن صاحبْ

وعن كفٍّ تُساندني

أردُّ بها خيولَ الرُّعْبِ إن جاءت تناجزني

لتخطفَ روحيَ الجوعى

برمح الخوف والنارِ

حدائقُ صدركِ المزروعِ بالفُلِّ

تُدَحْرِجُ في مدار الحُبِّ شمساً

تمسحُ العَتْمة

وتطلقُ بُرْعُما ينمو على كبدي

بفيضٍ من جَنَى نهديكِ زهراً
يشربُ الغيمة
ويملأ سلّة الأشواق في صدري
فآه، حين هذا الحُسنُ ألقاهُ
فيغسلَ قلبيَ المحروقَ بالطّلِّ
ويغمرني بنهر فاض بالأشجار والظّلِ
فأهربُ من هجير العُمْر أستسقي ينابيعكْ
وأملأ جَرَّةَ الأحزان من عَسَلٍ ومن خمرِ
لعلّي..
حين أبصرُ مصرعي في آخر الليلِ
أحدقُ فيه منتصرا على رُعْبي
وأنهضُ، حاملا سكينَ أيامي
وأغرسُها بصدر نذالةِ الدنيا
وما فيها.

سبتمبر ١٩٧٠

عيون

بينـــي وبينـــكِ خمـــسُ خطـــواتٍ هنـــا
لكـــن دَمْـــعَ الهَجْـــرِ يكـــوي الذاكـــرة
بينـــي وبينـــكِ أن أديـــرَ إليـــكِ رأســـي
كـــي أرى عينيـــكِ نحـــوي نـــاظرة
بينـــي وبينـــكِ عَـــرْضُ هـــذا الشـــارع
المرصـــوفِ مـــن شـــجني وروحـــي الحـــائرة
لكننـــي أمضـــي ويحســـبُ مَـــنْ يَـــرَى
أنـــي ســـلوتكِ يـــا حيـــاتي العاطـــرة

سكين

يا أيها السكينُ لا تَجهز علـيَّ
ما عاد في الأوصال غيرُ دمٍ شقـيّْ
أغريتني بالحبِّ حتى ذقتُـهُ
وعشقتُ عشقَ اللهِ في صَدْرِ النَّبـيّْ
حتى إذا اكتملَ الجنونُ ذبحتنـي
وكشفتَ عن وجهٍ غريبٍ بربـريّْ
وطعنتَ حيث اللمسُ شيءٌ منكـرٌ
ورميتَ جثة حُبنا في ساعديّْ
ونزعتَ سوسنة الطفولةِ من يدي
وغرستَ شوكَ الهَجْر في الكفِّ الطريّْ
الحبُّ في هذا الزمان جريمةٌ
والكُرْهُ عَفَّرَ بالضغينة كل حَيّْ
فإذا عشقتَ فنحِّ عشقكَ جانباً
وأعد حسابكَ مثلَ بقَّالٍ ذكـيّْ

فبطاقةُ التموين أبقي عندهم
من شِعْرٍ مجنونٍ تغزّلَ في بَغِيّْ
يا من يعذبني الحنينُ لوجهه
كيف اللقاءُ بعالمٍ فظٍّ غبيّْ
قلبَ الأمورَ فصارَ قدْري في الورى
صِفرا، وقَدْرُكِ لم يزدْ شيئا عليّْ
هانت وهنتُ وفي دمي نافورةٌ
للحُزْنِ تنضحُ دَمْعَها في ناظريّْ

جاهلة

لا تسألي في الحُبِّ جاهلةً بهِ
فالحبُّ يعلو قامةَ الجُهلاءِ
لا تبصرُ العينُ المريضةُ وردةً
بيضاءَ تنمو فوق سطح المــاءِ
فإذا رأت نورا تُحدِّق في عَمًــى
لا فرق بين النور والظلمــاءِ
فدعي كلامَ الأغبياء وأنصتــي
للقلبِ حينَ يدقُّ في إعياءِ

من كانت مثواها النار

الحبُّ عِطرٌ في الهواء نَشُمُّهُ
أهناكَ سِجْنٌ يحبسُ الأزهارا
أسمعتِ عن قيدٍ يقيـــدُ وردةً
كيلا تفوحَ وتملأ الأديـــارا
أسمعتِ يوما باعتقال حديـــقة
ضَمَّت إليها بُلْبُلاً ثرثارا
للحُبِّ قانونٌ فإن لم تنحـــني
يوما لهُ فستدخلين النـــارا

السلطان

الحبُّ سلطانٌ ونحن عبيــدُهُ
وحَذار من أن يغضبَ السلطانُ
أخشى عليكِ إذا عَصَيتِ لأنــهُ
متكبرٌ، وعدوُهُ العِصْيــانُ
أخفيتُ حتى الآن عنه شِكايتــي
وتعذبت في صَدْريَ الألحــانُ
فعساكِ يوما تهتفين برقــةٍ
العيدُ جاءَ، وقد مَضَى رمضانَ

محال

الحبُّ ليس جريمةً بقلوبنا
الحبُّ نبعٌ طاهرٌ وحلالُ
الحبُّ فستانٌ لكل جميلــة
وعلى صدور العاشقين هلالٌ
لما رأتني في المساء يمامــةٌ
دُهِشت لحالي، والهوى أحوالُ
قالت: عشقتَ؟ فقلتُ: أجملَ وردة
قالت: فما اسمُ البنتِ؟ قلتُ: مُحالٌ

ضَلَّ من غَوى وسُرَّ من رأى

وما بينهما من منازل

دار النشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة أصوات أدبية

تارخ النشر: ١٩٩٠

اشتعل الورد في الآنية

فلتسمحي..
لحمامة الريح الجديدةِ،
أن ترفرفَ ساعةً،
بيني وبينكِ،
كي يطولَ العُمْرُ
قَرْناً آخراً
غير الذي عشناهُ
أو مُتناهُ
وَسْطَ خراب الذكرى

وقَرِّي بين صُلْبيَ
والترائبِ،
علّني..

أرتدُّ ماءً دافقا،
علَّ السماءَ تَشيعُ في جَسَدي،
فأصبحَ مَعْدنا متكوكبا،
وأصيرَ نورا راسبا
في جِلْدَة الزمن الغليظةِ
كي تضيءَ،
أصيرُ نَبْضاً،
تحملُ الريحُ الجديدةُ جسمَهُ الشفافَ
نحو غزالةِ الفوضى
فيلمسُ أُذْنَها،

أرتدُّ ناطوراً يَمَسُّ الأرضَ من طَرَفِ الخطيئةِ،
ثم يلمسُ في نهايتهِ سماءَكِ،
أنتفي فيها،

فسبحانَ الذي أَسْرَى بوَرْدتهِ،
لسدْرَتهِ،
وأشعلَ زيتَ قُدْرتهِ،
وأيقظَ قَلْبيَ المدفونَ في
ظلماء غفوتهِ.

وقالت:

هذه حُريتي أن أخلعَ البَدَنَ اليحاصرني
وأصبحَ غيمةً
فأصابني هَلَعٌ،
وحاصرني وجودي

كنتُ مثلَ حديدةٍ محبوسةٍ بحديدها،
أو وردة محبوسةٍ في عِطْرِها،
أو قامةٍ محبوسةٍ
في طول قامتِها.

وقالت:

أستجيرُ من الطفولةِ بالنجومِ،
وأستجيرُ من النجوم بخُضْرة الشمس الوريفةِ،
أستجيرُ من العناصرِ..
كي أُطِلَّ
على
مَطَلِّ النورِ

كان الأفقُ غُلاًّ..
هالني
أني خلعتُ طفولتي مثل الحذاءِ
وليس لي نجمٌ بخاصرتي،
وأيامي ترابٌ شائعٌ في أعيني.

هل يطمعُ النَعْلُ الغليظُ
بأن يَرِقَّ،
يصيرُ خَدَّ جميلةٍ؟

أو يطمعُ الحَجَرُ المُسَنَّنُ أن يَشِفَّ
يصيرُ وَرْدَ خميلة؟
أو يصبحُ البازلتُ ماءً سائغا؟

للعُمر طعمُ الذكرياتِ،
وليس فى الذكرى
سوى ماءٍ شحيحٍ،
وانتصاراتٍ لها لونُ الهزائمِ،
وانفجاراتٍ لها شَكْلُ الخُمودِ.

فهل ينامُ الذئبُ في حِضن ابن آدمَ؟
أو تعيشُ النارُ في حِجْرِ الوليدِ؟

وهل يكون من النساءِ سوى فتاةٍ أو غُلامٍ؟
كيف لي..
وأنا ابنُ أنثى
أن أكونَ يدَ العواصف؟
كيف أهجرُ طينتي وأصيرُ نورا؟

كيف يهجرني دمي
لأصيرَ إسمنتَ الوجودِ؟

وقلتُ:
هذا موقفُ الحَجَرِ المُفَتَّتِ كالغمامةِ
قلتُ:
هذا مجلسُ الدنيا على كَتِفِ القيامةِ
وانتظرتُ
لكي أفكَّ الليلَ من قمرِ الجنونِ
لكي أُنَفِّضَ عن بُحَيْرةِ رغبتي بَجَعَ الكلامِ،
وأكتبَ الدنيا بِحِبرٍ أبيضٍ،
يَحْمَرّ في جَوْفِ الظلامِ،
لعلني أغفو قليلاً،
ثم أصحو..
بعد أن تَرِثَ الجموعُ مدينةَ الجُرْحِ،
انتبهتُ،
وجدتني في موكب الأسرى مُحَطَّمةً عظامي

وانتبهتُ، وجدتُها

فَرَحاً يُرَتِّبُ حُزنَه في دَفْتر الزمنِ

انكشفتُ بها

أطَلَّتْ من ضلوعي

واستقرَّتْ في مَدَى شَجَني،

انكشفتُ بها

أطلت من خوافي محنتي وقوادم الوطنِ

انكشفتُ بها

أطَلَّتْ مثل دُوريٍّ، وغَنَّتْ في أسى بدني،

وقالت: للرياح يَدي،

وللبَحْرِ انتظاركَ،

فاغتسلْ في مائه عشرين عاماً

كي يَمَسَّ الماءُ عَظْمَكَ

واشتعلْ مثل الخُزامى

ربما تضعُ الجوارحُ بيضَها في عُشِّ قَلبكَ

ربما تَطَأُ الهواءَ

وتدخلُ البيتَ الحراما

قلتُ:

نارُكِ أمسكت ثوبي
فخلِّني..
حصادُ العُمْرِ قَشٌّ
والعصافيرُ التي ملأت غصون الروحِ
طارتْ
حَرِّريني..
من تَوَرُّطِ شهوتي
من جوع كفِّي
من نُبُوَّة مقلتيكِ
ومن حريرِكِ
منِ مناقير النسورِ

وحَرِّريني
من أصابع وردةٍ
من جَمْرِ عاشقةٍ
تفتشُ في ضميري

حَرِّري بَدَني الذي لا يبتغي حريةً
من بعد أن مَسَّتْهُ نارُكِ
وانتمى لمدينةٍ
تقفين في أبوابها الخمسينَ
ضاحكةً
وتنتشرين فيها
كالهجيرِ

وحرريني..
إنني أصبحتُ أبغي أن أكون بريقَ سيفِكِ
عِطْرَ وردِكِ
صوتَ رَعْدِكِ
طَعْمَ شَهْدِكِ
إنني المسئولُ عن كل الجرائم منذ آدمَ
فاكتبي..
في دَفْترِ الأحوال اسمي
واكتبي عن كل أسلافي
وعن ذُرِّيتي

ما قاله التاريخُ
ما أخفاه تحت نقابِهِ الذَّهبيِّ
ما وَشَّاهُ تحت نفافه الملكيَّ
ما أخفاه تحت مخدة السلطانِ
ما غناهُ وَسْطَ مقاصر الحُورِ الخِدالِ

وسجِّلي..
أني حملتُ بضاعةً مغشوشةً
في سوق بابلَ
واختلستُ الخُفَّ من قَدَمِ المسيحِ
وأنني..
أطلقتُ شائعةً لَدَى النُعْمان عن أخلاق زوجتِهِ
وأني..
حَسْرةُ العَربيِّ في غرناطةٍ
وبكاءُ أحجار الطريقِ

وسَجِّلي..
أنواعَ حُزني

شَكْلَ إحباطي
مراوغةَ البريقِ
وسَجِّلي..
ما قاله ريشُ القوادمِ
للحريقِ

وسَجِّلي..
اسما جديدا للنهايةِ
واكتبي..
اسما جديدا للبدايةِ
وادخلي قلبي الفَروقِ

وقالت:

الدنيا تجيءُ إليَّ في حُلْمي فتى
ذا طُرَّةٍ حمراءَ
يأخذني إلى تُفَّاحةٍ،
فأفرُّ منه إلى غزالٍ

أدعج العينينِ، يشردُ
كلما آنستُ ناراً
ثم يتركني أطنُّ على بَنَفْسَجَةٍ
ويرحلُ

صِرْتُ عُشْباً أخضرا،
فازورَّ عني
صِرتُ نبعا رائقا وسط الحجارةِ،
عافني،
فخلعتُ أعضائي،
وصِرْتُ له هواءً فوق هامتهِ،
وعِقْداً حول لِبَّتهِ،
ورَمْلا تحت حافرهِ،
فصار إذا تنفسَ يحتويني صَدْرُهُ،
وإذا تَزَيَّنَ يزدهيني عُجْبُهُ،
وإذا تراكضَ في الزمانِ
تناثرت ذراتُ روحي حول رحلتهِ،
وارحلُ

ثم قالت:

كان سطحُ الأرضِ أضيقَ من
مساحة قَبْضتي..
فإذا مشيتُ
تلاطمت ذاتي بذاتي، وانشغلتُ
بضَجَّةِ الأعضاءِ
عن صوتٍ يَدُقُّ على
نوافذ وَحْشَتي
ورأيتُ نَفْسي في شظايا النَّفْسِ
امرأةً بلا وجهٍ،
بكيتُ،
لعلني أهتزُّ من فَرْطِ البكاءِ،
فينثني جذعي قليلاً
نحو ضوءِ الشمسِ،
كي يلتمَّ وجهي،
لم يكن بيني وبيني

غيرُ بحرٍ من رمادٍ،
لم يكن في أفق قلبي طائرٌ،
فخرجتُ من جِلْدي لأبحثَ
عن طواويس الكلامِ

رأيتُ قوماً يخبزون الوردَ
في قِدْرٍ نُحاسيٍّ..
سألتُهمُ طعاماً،
حين لُكْتُ طعامَهم،
نَشَفَتْ دمائي،
واستطارت هِمَّتي

ورأيتُ قَوْماً يذبحون يمامةً،
فسألتُ ما ذنبُ اليمامةِ؟
أخبروني..
أنها حملت إلى مَلِكِ الرياحِ
رسالةَ الأرضِ الحزينةِ

ثم سِرْتُ،
رأيتُ بَدْواً يضربونَ خيامَهم
في فَكِّ تِنّينٍ،
ويغتسلون وسط لعابِهِ،
يتنابذونَ،
يزوجون بناتهم،
ويهارشونَ نساءَهم،
فسألتُ:
كيف يطيبُ في هذا المقام معاشكم؟
فأصابني بالصارم الهنديِّ
شيخ قبيلةٍ منهم

مضيتُ،
رأيتُ صاعقةً تضيءُ مدينةً،
في بابها فَرَسٌ حديديٌّ،
دخلتُ،
رأيتُ خَلْقاً من حديدٍ
يملأون السوقَ،

سِرْتُ،
رأيتُ طِفلا من حديدٍ،
فوق ثديٍ من حديدٍ،
حين جُعْتُ،
دخلتُ خانا فوق رابيةٍ،
مددتُ يدي إلى قِدْرٍ حديديٍّ،
به ديكٌ حديديٌّ،
وحين صَبَبْتُ ماءً في يَدَيَّ
هَوَى بكفيَّ الحديدُ

مَضَيتُ صَوْبَ سحابةٍ بيضاءَ
تَخْفُقُ في السماءِ
كأنها قلبٌ،
مَشَيتُ،
رأيتُ نهرا تحتها،
فيه إوَزٌّ أخضرٌ،
حين اقتربتُ،
سمعتُ صوتا مثل صوتي،

فأتنستُ بهِ،
وأدركتُ المياهَ،
فحين مَسَّ الماءُ وَجْهي،
زال عن قلبي..
عَمَى أعوامي العشرينَ

سِرْتُ،
رأيتُ نارا وسط وادٍ،
فاقتربتُ،
لعلني ألقىَ هُدىً
في ذَرْوةِ الضوء الرحيمِ
فصادني..
هذا الغزالُ الأدعجُ العينينِ

قلتُ:

غزالتي أنتِ،
ابتداءُ دمي،

حُدودُ الريحِ،
دَمْدَمةُ السَّديمِ،
تخيري للجسم قلبا آخراً،
للقلبِ جسماً كالغيومِ

تخيري بَدَناً يُرَفرفُ مثلَ قَبضةِ وردةٍ
رُمْحًا تهشَّمَ في صميمي
وانقلي خَطْوي إلى أسطورة اللحم المُفَوَّفِ بالنجومِ.

زمن البيع

هي الآنَ..

تمسحُ وَجْهَ المدينة بالحُزنِ

قالت لها ساعةُ البيتِ:

صومي..

إذا اتسخَ الخُبز

ولا تأكلي من طعام اللئام

وإن دَقَّ عبدٌ على الدُّفِّ

لا ترقصي

واجذبي حول وجهكِ

طرَفَ اللثام

أتى زمنُ البيعِ

والمشترون انتهوا من حساباتهم

منذ تسعين عام

أضاعوكِ من قبل أن تولدي

ثم جاءوا إليكِ بطفلٍ حَرام

وأبكوكِ من قبل أن تضحكي

ثم قصّوا لسانكِ عند الكلام

وحين ارتميتِ على مَسْند العُمْر مُنهكةً

جاء ذئبُ البراري

بزي الطبيبِ

وفأرُ الحقولِ

برأي اللبيبِ

وأضحوكةُ القومِ

والبهلوان

وغنّوكِ لحنا رخيصَ المعاني

وقالوا كلاما بغير معان.

-٢-

هي الآن تعرفُ أن اسمَها
منحته القواميسُ معنى جديداً
وشكلا جديدا
وصوتاً جديداً
فتهربُ من شكلها المستعار
وتهربُ من صَوْتِها المستعار
وتهربُ من حُزْنِها المستعار
وتبحثُ وسط الحجارةِ
عن وجهها المُتَفَتِّتِ تحت الجدارْ
وتسألُ بائعةً عن رداءٍ
يغطي حدودَ البكاء الجديدةْ

تقولين.. من أنتَ؟
سيدتي

في زمان التخلِّي
تصيرُ حدودُ البكاء حدودَ الضحكْ
وتصبحُ أوقيةٌ من رياء
تعادلُ أوقيةً من شرَفْ
ولن تعرفي: أيُّنا مات جوعاً
ولا أينا رافلٌ في الترَفْ
وتأخذ قنينةُ السُّم موضعَها
فوق رَفِّ الدواءْ
ويختلطُ الماءُ بالماءِ
يختلطُ الناسُ بالناسِ
ينبتُ فوق الشفاه القرفْ

فلا تُخْطئي مظْهري
حين يكثرُ حولكِ
جَمْعُ الرجالْ.

-٣-

هي الآن طالبةٌ
ترتدي الجينزَ
وتنطلقُ ضاحكةً شَعْرَها في الهواءْ
وتأخذُ في كل يومٍ قطارِ الصباح إلى الجامعة
مُعَذبةً برؤاها التي نَبَتَتْ
مثلما ينبتُ الحزنُ في المقلةِ الدامعةْ
تحبُّ القراءةَ والشِّعْرَ والقصصَ العاطفية
وتضحكُ من جَهل أستاذها
حين يقذفُ في وجهها
بتراب الغباءْ

يقول لها:

تشرقُ الشمسُ كل صباحٍ
وتسقطُ في فُوهَةِ الليلِ
حين يجنُّ المساءْ

تقول له:

إن في الليل شمساً
وفي الشمس ليلاً
وليس المدى هو حَدُّ السماءْ

يقول لها:

ينبتُ الورد وسط الحدائقِ
إن جاده الغيثْ
فيثملُ بالعِطْرِ طَيْرُ الفضاءْ

تقولُ لهُ:

ليس للورد عِطْرٌ يفوحُ
ولكنهُ لُغةٌ ونداءْ

يقولُ لها:

يأخذُ البحرُ أبناءَنا
في احتدام الرياحِ
ويلقي بهم
تحت ضِرْسِ الفناءْ

تقولُ له:
يغسلُ البحرُ أبناءنا
من تراب التدنّي
ويُطْلقهم في الحِمىَ
أنبياءْ.

-٤-

هي الآن فلاحةٌ
اسمُها زينبٌ
والطريقُ ممرٌ طويلٌ
يقودُ إلى آخر الحُزْنِ
أو أول الانفجارْ

وزينبُ باسقةٌ مثلُ نَخْلِ النهارِ
فإن أشرقت..
مثلُ شمس النهارْ

وزينبُ لا ترتدي حُزْنَها دفعةً
بل تنامُ قليلا..
على ساعد الانتظارْ
وتخفي ملامحَها

في هدوءٍ
كما يختفي الصمتُ
وَسْطَ الحِوارْ

لها حكمةُ الطَّيْرِ
لكن حكمتها
لم تُعِنْها
على فَكِّ ألغاز وجهِ المدينةْ
فأعطت حَماماً
وأعطت يماماً
وقمحاً كثيرا
وأعطت شعيرا
سِلالاً من الوردِ أعطتْ
وأعطت حريراً

وكان ذراعُ المدينةِ يأخذُ
ريشَ اليمامِ
لكفٍّ الأميرة
ولونَ الغلالِ
لشعر الأميرة
ولحمَ الحمامِ
لبطن الأميرة
ويصنعُ من جلْدِ زينبَ
حمَّالةً لنهودِ الأميرةْ

لها حكمةُ الأرضِ
لكنَّ حكمتها لم تُعِنْها
على فهم تلك الأمورِ الكبيرةْ
فسارتْ..
وكان الفضاءُ المُحاصرُ بالدُّورِ
يُلْجِئُها للمضيِّ
بنفسٍ كسيرةْ

يلاحقُها المَطَرُ المتساقطُ فوق البيوتِ
وفوق الطريقِ
وأعمدة الكهرباء المنيرة

لها حكمةُ الشمسِ
لكن حكمتها لم تُعِنْها
على رد بَطْشِ الذئاب الخبيرة
فأوقعها رَجُلٌ في الظلا مِ
على ظَهْرِها
ثم غادرها
والطريقُ ممرٌ طويلٌ
يقودُ إلى آخر الحُزْنِ
أو أول الانفجارْ.

ابدأ إلى الورد ارتحالك

إلى صلاح جاهين

-١-

هذا قرارُكَ كلُّهُ
فمن الذي أعطى قرارَكَ
شَكْلَ أحزاني؟
ومن أعطاهُ طَعْمَ الذكريات المالحةْ؟
ومن الذى أبقاكَ وسطَ حِصار قلبي
مثلَ فُلْكٍ جانحةْ؟
ومن الذي أعطى المدينة موجةً
لتنامَ تحت الماءِ
أعواما طويلةْ؟

ومن الذي سَرَقَ المُغَنِّي
وسط حُرَّاس القبيلةْ؟
ومن الذي ألقىَ النشيدَ
إلى الطيور الجارحةْ؟

-٢-

هذا قرارُكَ كلُّهُ
عاد الترابُ إلى الترابْ
حُرًّا..
نظيفا من بقايا الروحِ،
من قِصَصِ العذابْ
فابدأ إلى الورد ارتحالكَ والشجرْ
وارحلْ إلى طينِ الإناءِ،
إلى بداياتِ المَطَرْ
ارحلْ إلى سَعَفِ النخيلِ،
ووسط ذرات الضبابْ
عاد الترابُ إلى الترابْ.

ارحل إلى شمسِ الصباحِ،
إلى النجوم الزاهرةْ
ارحلْ إلى ماءٍ تَجَمَّدَ في بحار الذاكرةْ

ارحلْ إلى عَتَباتِ بيتٍ
في حواري القاهرةْ
ارحلْ إلى دَمْعٍ توقَّفَ في عيونٍ ساهرةْ
واجمعْ من الطرقاتِ صَوْتَكَ،
وابتسم من غير نابْ
عاد الترابُ إلى الترابْ

ارحلْ من الأشجانِ،
من حُزْنٍ حَبيسْ
ارحلْ من الأحد الثلاثاء الخميسْ
ارحلْ من الكون الجهيرِ،
إلى خُطَا كونٍ هميسْ
وافتحْ على الأحبابِ باباً
بعد بابْ
عاد الترابُ إلى الترابْ.

-٣-

ماذا تقولُ النارُ
للعُنُقِ المُغَطَّى بالزغَبْ؟
إن الحياةَ لمن غلبْ
ولمن سَلَبْ
ولمن أقام عدالةَ السيف المُوَشَّى بالذَهَبْ
فمن الذي سيقيمُ عَدْلَ الضائعينْ؟
ومن الذي يستأنسُ الثعبانَ،
يستصفي اللهبْ؟
ها أنتَ ألقيتَ الشِّراكَ على غزال الياسمينْ
ماذا وجدتَ سوى حَطَبْ؟
ها أنت أطلقتَ الحَمامَ إلى غلال الزارعينْ
عاد الحَمامْ
من غير حَبّْ
والليلُ يكتبُ قصَّةً أخرى
ويبدأُ غُصَّةً أخرى
ويصنعُ لاحتدام الحُلْمِ
ساقاً من خَشَبْ.

-٤-

سَقَطَ الشِّراعُ على المَدَى

والموجُ غالبْ

يا من أتيتَ من الحريرِ،

وضِعْتَ في حربِ الكواكبْ

وتركتَ آنيةَ الزهورِ،

وغِبْتَ في بيتِ العناكبْ

لا شيءَ يأخذُ منكَ صيحةَ نجمةٍ،

أو عُمْرَ غيمةْ

لا شيءَ يأخذُ منك قبضةَ وردةٍ،

أو جَمْرَ كِلْمةْ

لا ريحَ تأخذُ منكَ قلعاً للمراكبْ.

-٥-

خمسينَ عاماً..

أو يزيدْ

فتَّشْتَ عن ريحانةٍ،

في حَدِّ سَيْفٍ من حديدْ

وكتبتَ أغنيةً لأمٍّ من جليدْ

الشَّعْرُ شابَ

ولم يذبْ ذاك الجليدْ

والعُمْرُ ضاعَ،

وعِطْرُكَ الهمجيُّ لم ينفذْ

من الحَدِّ

الحديدْ.

خطفوكِ من الحلم

-١-

خطفوكِ من الحُلْمِ
من ساعة الكبرياءْ
مزقوا ثَوْبَ عُرْسِكِ،
ثم أعدُّوكِ
كي تبدئي في طقوس البكاءْ
جَهَّزوا مَسْرحَ الحزنِ،
ثم انتظموا في صفوف العزاءْ
فاخرجي..
مثل يونسَ من بَطْنِ حوت الجريمةِ
وانتصبي..
مثل نخلة مريمَ
وابتدئي في الغناءْ

إن إيزيسَ غنَّتْ

فقام من الموتِ من مَزَّقوهُ

ليجتثَّ من قشرة الأرضِ

سِرَّ الشقاءْ

إنه قيصرٌ..

من هوَى فوق سيفكِ يوماً

وعَضَّ بأسنانهِ

رملةَ الصحراءْ

فليكن..

حَظُّ كل القياصرِ

أن يملأُ الرملُ أفواهَهُم

ويظلُّ على شفتيكِ

بريقُ الغناءْ.

-٢-

خطفوكِ من البحرِ
من ساعة الطيرِ
إذ يتحلّقُ
والنهر إذ يتدفقُ
والصدر إذ يتجاوزُ
حَدَّ السرورِ وحَدَّ البكاءْ

كانت النارُ تسطعُ في وجنتيكِ
حريقا من الوردِ ينشرُ
فوق المكان أريج الوطنْ

كانت الأرضُ نافورةً
يتطايرُ فيها حمامُ الحقيقةِ
ينفضُ ريشاً تلوّنهُ الشمسُ
فوق المياه الصديقة

يخفقُ وهو يُحِسُّ دبيب الزمنْ

كانت الناسُ تبدو على حافةِ الحُلم
مثل الزهور الكبيرةِ
والطرقات تئنُّ بضوءٍ جديدٍ
ونافذةُ الفرح المستحيلِ
يُعَرِّشُ فيها نباتٌ جديدٌ
وثمَّةَ وَعْدٌ بحجم العناءْ

كانت الشمسُ ضاحيةً من ضواحي فؤادي
بها يسكنُ العاشقونَ
ومن عَيْنِها
يشربُ الظامئونَ
وفي نورها
يفرحُ الفقراءُ
فيلقون عن كاهل العُمْرِ
ثَوْبَ المِحَنْ

مَن تُراهُ
يصادرُ فيكِ الحنينَ
ويسجنُ في مُقْلَتَيكِ الشَّجَنْ؟

مَنْ تُراهُ
رمي الماءَ في النارِ
والنارَ
في عُنُقِ الفجرِ
والفجرَ
في أعينٍ مَسَّها النومُ
والنومَ
في يقظةِ القلبَ
كي تَتَلَدَّدَ
تحت وشاح الوَسَنْ

إنه عاصفٌ من صهيل الفيافي
وبومٌ يُصَوِّتُ وسط الدِّمَنْ.

-٣-

خطفوكِ من الضحكة اللاهيةْ
سرقوا النارَ
من سارق النارِ
فاشتعلَ الوردُ في الآنية

حَرَّضوا الطيرَ ضدَّ الفضاءِ
وأغروا النِّمالَ
بلقمتنا الباقية

كسروا إصبعَ الشمسِ
في كفِّها الدامية
فابدئي مرةً ثانية
فالنهاياتُ
معقودةٌ فوق ناصية الخيلِ
والخيلُ
تنتظرُ النارَ
والجامية.

لا شيء عن عينيكِ

-١-

ذَهَبٌ بشَعْرِكِ
تاركٌ
في الدمعِ آثاراً
وفي صدري قصيدةْ

مَطَرٌ
على صحراء روحي هاطلٌ
البحرُ بعضٌ
من عطاياهُ العديدةْ

شَجَرٌ، وموسيقى، وطَيْرٌ سابحٌ
في ليل عُمْري،

وانبثاقاتٌ لضوءٍ

ساقطٍ

من شمس أحلامي البعيدةْ

إني أُحِسُّكِ تحت كفِّي نبضةً

دَقَّتْ،

فلاحت في عيوني

صورةُ الأرضِ الجديدةْ

وتلبثت في مُوق عيني بُرْهةً

ثم استطارت

كالعصافير الطريدة.

-٢-

تتهيئين لساعة اللُّقيا
بسوسنة كبيرة
ويظلٌّ ينفضُ ريشَهُ
في سُكَّرِ الشفتينِ
طاووسُ الكلامْ

تتهيئين لصبوتي
بالبحرِ،
مُلْتفاً بخَصْرِكَ
بالسماءِ،
تنامُ في عينيكِ
بالشمس المُزَوَّقةِ الأميرةْ

تتهيئينَ لجوع أيامي وعُمْري
بالمدى ثَقْبًا

يسيلُ الكونُ منهُ
فأرتمي في بَطْشِ غِبْطَتِهِ
جواداً نافراً
كالشوقِ
مرضوضَ العظامْ

تتهيئينَ،
وليس بيني واللقاء سوى يدٍ
تمتدُّ ساعيةً إليكِ
وغير أن تُلْقي بنفسكِ
فوق صدري
كي نفجر في الزمانِ
أصابع الورد النثيرة
فأراكِ تنفلتينَ من كَفَّيَّ
مثل هباءةٍ
من مستطيل الضوءِ
تسقط في الظلامْ.

-٣-

لا شيءَ عن عينيكِ
إلا ما تعذرَ في الظهورِ
وما تَجَذَّرَ في الدماءْ
لا شيءَ يُخبرُ كيف يرسمُ جدولُ الماءِ
انهمارَ الضوءِ
من بنت السماءْ
لا شيءَ يترِكُ في الثرى أثراً
فهل قدماكِ حين خَطَرْتِ
كانت من ضياءْ؟
لا شيءَ يا منسيةَ القسماتِ
يا جسما خفيفاً
كالهواءْ.

ضَلَّ من غَوَى وَسُرَّ من رأى

وما بينهما من منازل

"ضَلَّ من غَوَى"

جاريةٌ من سمرقند
فِضَّتُها تُوْقِعُ الفضاءَ
في مَصْيدةٍ زرقاء
وذَهَبُها يُعْلِنُ فنَّ الصائغِ
ومعادنُها الكريمةُ
منجمٌ للعين الجائعةِ
وللأذن العاشقةِ
وللبدن الذي يهتزُّ
مثل لواء الريحْ.

بكم ستبيعُ حَمامَها
ويمامَها؟
وبكم ريشَها
وشقائقَها؟
وبكم جدولَها وغزلانَها؟
وبكم شامَها ويمنَها؟
لا تخشَ صاحبَ الشرطةِ
بِعْها..
وابكِ طويلا

أيائلُ فَضَّةٍ تكبو على سُلَّمِ القلبِ
والقلبُ جَمْرةٌ مُبْتَلَةٌ
والسمواتُ اشتهت نفَسها

خلائقُ من حديدٍ يملؤونَ السوقَ
وخلائقُ من نُحاسٍ مطروقٍ
وخلائقُ من مَرْمَرٍ أسود

وأوعيةٌ تتسعُ لجَمَلٍ مذبوحٍ
ولا تتسعُ لقلبٍ حزينٍ
وأناشيدُ جامدةٌ
على شفاهِ قِيانٍ من حَجَرٍجيريٍّ
وأعمدةٌ من الجرانيت الأحمرَ
لا تحملُ شيئاً
وسلالُ فاكهةٍ خشبيةٍ
متعددةٌ ألوانُها وأحجامُها
ونباتاتٌ وزهورٌ من الملحِ
صفراءُ وزرقاءُ وحمراءُ
وأسرابُ طيورٍمن الفخَّارِالمَطْلِيِّ
ساكنةٌ بغير مدى
وحوانيتُ للخَبَّازينَ وللعطَّارينَ
أمامها خَلْقٌ من اليَشْبِ
ينظرونَ بلا أحداقٍ
ويتأملونَ بلا أدمغةٍ
ويضحكونَ على فكاهةٍ جامدةٍ
في مادتهم منذ قرونٍ

فلماذا أخذتَ كتابكَ بشمالكَ؟
وأدرتَ رأسَكَ
حين عرَّتْ لكَ الوردةُ إبطَها
وكيف خرجتَ من البحر غير مبتلٍ؟
وكيف لم تُلَوِّنْكَ الشمسُ؟
وكيف نمتَ
حين استيقظَ هُدْهُدُ الروح؟

سوف تحملكَ طيورُ العقيقِ
إلى بادية العُمْرِ
فاعرض بضائعَكَ التي هَرَّبْتَها
من جُمْرُك القلبِ
وابكِ طويلا

جاريةٌ من بُخارى
توقفت تحت جِلْدها قافلةٌ
تحملُ الحريرَ من الهندِ

ومن الحبشة البُهارا
تجيدُ تطريزَ سماءِ الحُلمِ
بنجوم الكلامِ
وتصعدُ فوق سُلَّمِ صوتها
إلى زهرة الوجدِ
وتُوَيْجِ الأسى
حيث يغتصبُها نِسْرٌ مفتونٌ
في الضوء المبهرِ
للحقائق الثقيلةِ
كالرصاص الثقيلِ

وحيث لا يتركُ منها
سوى ما يتركه الذئبُ من الشاة
والدبُّ من جِرار العسلِ
والنحلُ من رحيق الورودِ

جاريةٌ تتركُ للريح جدائلَها
كي يتعثر فيها النورسُ

والكُرْكيُّ وفرسُ النورِ
جاريةٌ تَغَشَّها البحرُ مَرَّةً
على ساحل الحُزْنِ
فترك في رُمَّانِها لُمَعاً
وإشاراتٍ ولوائحَ
تَشُمُّها أسماكُ القرشِ
وثعابين الماءِ
وحيواناتُ البَرِّ
ونباتاتُ الغابِ

فلماذا تَتَلَدَّدُ في صحرائكَ
بِعْها
وابكِ طويلا.

١ -منزل اللغة

لسانُ فضّةٍ
يلامسُ السماء
يحتجزُ المشردينَ في سِراطهِ،
ويملأُ الفضاء
يأخذُ من فِراشها الفتاةَ
نِصفَ نائمةْ
ونصف عاريةْ
وينضجُ الخُبْزَ على نَهْدٍ
ويكسرُ الهواء.

٢ -منزل أن ما أصابكَ لم يكن ليخطئك

من أين؟ لا مَفَرّْ
ونقطةُ الفؤادِ صارت هَدَفاً
لقوس فتنة
يطيشُ عقلٌ من رَمَتْ
ولا يطيشُ سَهْمُها
وأنتَ فوق مرفق الكلام تتكي
تشكو الصبابةَ التي أمترتْ حشاكَ
ثم تشتكي
تعيشُ في حصار قُبْلةٍ
تفتشُ العبيرا
وتسكنُ الرياحَ والحريرا.

٣ -منزل خطأ القلب الوحيد

مِنْقارُهُ الدقيقُ رَنَّ في زجاج النافذة
وأنت خلفها..
تراقبُ الذي يبدو
من الأشجار والأسلاك والباصات و البَشرْ
وتسمعُ الذي تبقى
من أهازيج الغَجَرْ
ومن بعيدٍ
تُبْصرُ النسوةَ يعبرن الطريقَ مُسْرعاتْ
يتركن خلفهنَّ كوكباً مُهَشَّماً،
وبضعَ أغنياتْ
وكنتَ خلف النافذةْ
تشدُّ خَيْطَ الزمنِ الذي يُزَوْبِعُ المكانْ
ورنَّ في الزجاجِ رأسُهُ الرقيقُ

مَرَّةً ومرة ومرةً
كان يحاولُ النفاذَ من صلابة
شفيفةٍ كأنها حَجَرْ
وحين أعيتهُ المحاولةْ
طارَ بعيداً..
للفضاءِ الرحبِ
يصنعُ الربيعَ والمَطَرْ.

٤ -مَنْزِلُ هل كنتَ يوماً وجودياً

أمسكتَ ثَوْرَ الوقتِ من قَرْنيهِ
ضُعْتَ في رياحين الرُّخامِ
أوقدتَ شمعتينِ في ضريح وردةٍ
ونمتَ في ريشِ الحَمامِ
خلعتَ طاعةَ الأميرْ
خلعتَ ثَوْبَ أمكِ القديمَ
ثَوْبَ عمِّكَ القديمَ
ثوبَ جَدِّكَ التسعينْ
رقصتَ تحت شمس طلعةٍ
كتبتَ تحتَ سورِ قلعةٍ
سعيتَ للتنينْ
هل كنتَ في يومٍ وجوديا؟

٥ -مَنْزِلٌ لم يكن ماءً

قال لها: شَرْبَةَ ماء
فدخلتْ
بجيشها الذي يقوده الخليفةُ المنصورْ
تاركةً نَرْجِسَها الأبيضَ
في طاقةِ بيتِها
وبُلْبُلاً على جدار قبلةٍ
انتظر انبلاجَ جِسْمِها من البابِ
وأدنى قلبَهُ من وَطْءِ خَفِّها
وعاش دهرا
في ازدحامه بها

وجاءت المرأةُ: مِهْرجانَ وردةٍ
وزهوَ سُنْبُلة
محروسةً بعاجها وتاجها
منذورةً للموتِ في انفجار رغبةٍ
وفي احتضار قُنْبُلةْ

وحين ذاق طَعْمَها اللذيذا
أدركَ أن ماءَها
كان نبيذا.

٦ -مَنْزِلُ ليس حُزْناً كلُّهُ

ثمة شيءٌ قد حَدَثْ
وما تظنه ابتلاءً
ليس حُزْناً كُلُّهُ

فليس كلُّ السيفِ نَصْلاً
بل هناكَ دائما
مساحةٌ لوردةٍ وقُبَّرةْ
وليس آخرُ الطريقِ آخر الطريقْ
هناك نقطةٌ جديدةٌ
على محيط الدائرةْ
وليس كلُّ الشوكِ شَوْكا
بل هناكِ شَوْكَةٌ تَخيطُ جُرْحَ الخاصرة

فخُذْ من الزمانِ
ما يُعْطيكَهُ
شمسا تكونُ
أو رياحا ثائرة
فأولُ الدموع آخرُ الشَّجَنْ
وآخرُ الليلِ بدايةُ النهار.

٧ -مَنْزِلُ من كانت مثواها النار

الحُبُّ عِطْرٌ في الهواءِ نَشُمُّهُ
أهناكَ سِجْنٌ
يحبسُ الأزهارا؟

أسمعتِ عن قيدٍ
يقيدُ وردةً
كيلا تفوحَ
وتملأَ الأطيارا؟

أسمعتِ يوما
باعتقال حديقة
ضَمَّتْ إليها بُلْبُلا ثرثارا؟

للحبِّ قانونٌ
فإن لم تنحني يوما لهُ
فستدخلين النارا.

"سُرَّ من رأى"

مدينةٌ تأخذُ زينتَها
عواميدُ فضةٍ،
أصلُها في رَحِمٍ مبتهجٍ
وفَرْعُها في عصافير اللغةِ

أوانٍ نحاسيةٌ
مَجْلُوَّةٌ بخرقة التصوفِ
حتى تلمعَ
بلمعةٍ غنائيةٍ
نمارقُ مصفوفةٌ
في حجرة القلبِ
لا يتكئُ عليها إلا سكرانُ
ولا يلمسُ وشيَ حواشيها
إلا من ثقلتْ فوق فروع شُجَيْرتهِ

فاكهةُ عذابهِ
حتى ينخلعَ الجِذْرُ من الطينِ
وحتى ينقصفَ الغصنُ
وحتى ينفرطَ الرُّمانُ

لا تسمع فيها لاغيةً
بل غانيةً
تحكي تواريخَ غوايتها
تحكي عن فُتوحاتِ أعضائها
وعن كشوفات عينيها
تحكي كيف تفككتْ
تحت وَطْأةِ هَوْلٍ
واستحالت إلى ذَرْوٍ
طَيَّرتهُ الريحُ
تحكي كيف شربتْ
حتى ابتلَّتْ أظافرُها
وابتلَّ شعرُها

تحكي حتي تُغادرَ الأشجارُ منابتَها
وتستظلُّ بظل نَهْدِها

تحكي حتى يتلألأُ الهواءُ
ويزدحمَ الفضاءُ بنورٍ حِسِّيٍّ
ويتوجعَ كوكبْ

وللبساتين حولها هَمْهَمَةٌ
وللماعز الجبلّي غَمْغَمَةٌ
وللمياهِ كلامٌ

اقتربي..
أيتها الشجرةُ التي شهدت عُرْسَها
وحَدِّثي
عن الفتى الذي افترعَها
والصاعقةِ التي أظلَّتْها
والجبلِ الذي صار كالعِهْنِ المنفوشِ
في مَدِّ سرورِها

وعمودِ الرخامِ
الذي انتقلَ إلى شَرْقِ رغبتها

وحدثني..
عن العصافير المليئةِ الحواصلِ
بلؤلؤ العشقِ
وقمح المحبة
وعن الأوابدِ من الطير والوحشِ
وهي تفرُّ ناجيةً بنفسها
من حريق اللغاتِ في الجسد الآدميِّ
ومن حريق امرأةٍ
تركت السموات في رماد نهديها
خميرا، ورياحينَ، وفاكهةً، وأبا
وحدائق غُلْبا

وحدثني..
عن المدينة التي تركتها المماليكُ
للصعاليكِ

وللحرافيشِ، والزُّعْرِ
فأقاموا فيها شريعةَ الضعفاءِ
وسُنَّةَ الفقراءِ
واقتسموا فيها لبنَ الشاةِ
وغَلَّةَ بيت المالِ
وخراجَ البلاد التي استبدلت
بالسيفِ وردة

وحدثني..
عن " سُرَّ من رأى "
وهي تفتحُ أبوابَها الخمسينَ
لتؤوي الطيورَ في وُكُناتِها
والخيولَ في مرابضِها
والثعالبَ في وِجارِها
والعاشقينَ في سريرتها

وحدثني..

كيف خرجَ أهلوها

يجأرونَ في الصُعُداتِ

حتى وَشَتِ النخلةُ

عن نفسِها

ودَلَّتْ العيرُ

على مَرْتَعِها

ونادت الحِنْطةُ: أنا قمحٌ فكلوني

وحدثني..

أن المرأةَ ألقتْ مِرْطَها

وقُرْطَها

والظعينةَ هَوْدَجَها

والفارسَ قوسَهُ وتُرْسَهُ

والأسدَ الخادرَ جُمَّتَهُ

والسراحينَ طرائدَها

والبيتَ طنافسَهُ

والشجرةَ برتقالَها

والوردةَ ريحها

والصحائفَ حكمتَها

حتى اجتمعَ لهم مُجتمعٌ، فقال منادٍ:
مُدُّوا أيديكم
للنعَمِ الظاهرةِ
والنعم الباطنةِ
وابتدروا فيءَ اللهِ عليكم
واعتمُّوا بعمائمِ حِكْمتهِ
والتذُّوا.. واعتزُّوا
حتى تشتجر مِعى الواحدِ منكم
في أحشاء أخيهِ
واستوصوا بالنسوةِ خيرا
فهُنَّ رياحينُ الدارِ
وبساتينُ الأبصارِ
ومصابيحُ الليلِ،
إذا ما اعتكرَ القلبُ،
وعَسْعَسَت الظلمات.

جاء القطار

-١-

جاء القطارْ
فمن الذي سيقيمُ سَوْسَنةً لتسكنَها
ومن سيعلمُ الطيرَ القَرارْ؟
ومن الذي يعطيكَ نافذةً على قلبي
لتبصرَ فيه رقدتكَ الأخيرةْ؟
ومن الذي سيسيرُ خلفكَ؟
نجمةُ الأحزانِ؟
أم شمسُ الظهيرة؟
ومن الذي سيلمُّ من فوق الحَصَى
سنواتكَ المتبعثراتِ؟
ودهشةَ العينِ الحسيرة؟
ومن الذي سيَلُمُّني

من عُمرِكَ المنثورِ
كالشُّهبِ الصغيرةْ؟
ومن الذي يأتي
لينفخَ في مصابيحِ النهارْ؟
جاء القطارْ.

-٢-

بالأمس كنتَ أباً
وصرتَ اليومَ ابنا
وأنا أبوكَ،
أكنتَ تعقلُها؟
ولا أنا كنتُ أعقلُها،
ولكن صرْتَ يا أبتاهُ ابنا

نتبادلُ اليومَ المقاعدْ
تتداخلُ الأيامُ بالأيامِ
والذكرى برمل الجُرْحِ
والدنيا الهلوكُ
تُطِلُّ فوق ورودك الحمراء لاهيةً
وأنتَ
تصيرُ في جَنْبَيَّ ابنا
تركتكَ زوبعةُ الحديدِ

بلا مُوَدِّعَة

فكيف تخلَّصَ الرجلُ الحريرُ

من الحديدْ؟

تركتكُ زوبعةُ الحديدِ

بغير باكيةٍ

وفكّتْ فوقَ صمتِ الأرضِ

باقاتِ الورودْ

تركتكَ تسقطُ في احتدام أبوّتي

ورجعتَ طفلا من جديدْ

فدعِ السؤالَ يطيرُ من فوق الجدارْ

جاء القطارْ

-٣-

أمشي إليكَ ولا أصلْ
كلُّ البلاد تقودني لفضاءِ وردةْ
كل السُّبُلْ
خلعت زنابقَها
فطارت نحلةُ الأيامِ
من وعدِ العَسَلْ
كلُّ النوارسِ لا تصلْ
رحلت شواطئها،
وأخفى البحرُ مَجْدَهْ
ورحلتُ نحوكَ في اتجاه رجولتي
هل كان حتما أن تموتَ لأكتملْ؟
كل كان حتما أن أظلَّ طوالَ مَدِّ العُمر مُنْتَقَصاً
لتكملَني دماؤكْ؟
هذا جنونُكَ؟ أم وفاؤكْ؟

هذا وفاءُ النيلِ
في يَمِّ الفؤادِ على مَهَلْ
أمشي إليكَ ولا أصلْ
وصل القطارْ.

-٤-

أمشي إليكَ بغير زادِ
كلُّ البلاد بلادُهم،
لكنها ليست بلادي
يخلو من الطرقات وجهُكَ،
من يقولُ؟ ومن ينادي؟
وقرأتُ كفَّكَ أستعيدُ صلابة الزمن المُعادي
كلُّ الخطوطِ منازلٌ
للنجم في فَلَكِ التَّعَبْ
كلُّ الخطوط مواقدٌ
منْ غير نارٍ أوحَطَبْ
كلُّ الخطوطِ شكتْ
إلى ربِّ العبادِ

ومشيتُ أبحثُ في رمادي
عن خاتمي المسروقِ،
عن عُرْسِ الحدادِ
عن جبهةٍ بيضاءَ ألقت نورَها
وسط السُّحُبْ
عن نبضةٍ من غير قلبْ
طارت ودَقَّتْ في فؤادي

ومشيت أبحثُ في عنادي
عن نهر حُبٍّ
طلعت عليه الشمسُ،
جفَّ بهاؤه،
والماءُ فارْ
جاء القطارْ.

-٥-

الآن تخرجُ من زماني
لتقرَّ في زمن الكواكب والترابْ
وتمدَّ ظِلَّكَ في حديد الضوءِ
في جسم الغيابْ .

الآن تتركُني لأعبثَ في الدقائق والثواني
لأقيمَ من رَمْلِ الكلام مدينتي
وأطيرَ في موت الأغاني
وأمرَّ فوق مَنِيَّتي مَرَّ السحابْ

الآن تتركني لأصنعَ سُلَّماً
من ريش عصفورٍ
وأسكنَ زَوْبَعَةْ
وأخوضَ في قمرٍ تلألأ،

يحملُ الدنيا معهْ
وأعيشَ في قيظِ المعاني

الآن تخرجُ من هُتافِ البيتِ
من ضَحِكِ الجدارْ
جاء القطارْ.

- ١ -

للعصافير كلامٌ، ولقلبي أغنية
وأنا أستلُّ شمسي
من نهاراتي
وأنمو
مثلَ ذنبٍ
في حدود المعصيةْ
وأنا أحبو على أضلاع نَهْرٍ
لم يشق السَّيْلُ مجراهُ
ولم ترسِمْهُ كَفُّ الريحِ
وَسْطَ الأوديةْ
وأنا أخرجُ من جِسْمي قليلا،
كلَّ حُزْنٍ مَرَّةً،
كي أمسكَ العصفورَ من خَيْطِ الغناءْ

وأصلِّي..
للذي داسوهُ تحت الأحذيةْ
وأنا أشتبكُ الآن مع الوردِ
وأطفو
فوق ناقوس الدماءْ
أبصرُ الأشجارَ تجري
حين مَرَّ الحُلْمُ
في بُوقِ النَّدَى
فشدا قلبي
وطارت
من مناقير الحمامات سحابةْ

فارفع المصباحَ تلك الأمسيةْ
للعصافير كلامٌ، ولقلبي أغنيةْ.

-٢-

سوف آتيكِ مساءً
نرفعُ الأوراقَ عن تُوتِ الجَسَدْ
فنرى القُبَّةَ تزهو
بهلالٍ غامضٍ
ونرى حارسةَ الوقتِ
تَلُمُّ الضوءَ محروساً
على نَهْدٍ نَهَدْ
هذه منزلتي
بين نارٍ صُفِّيَتْ
حتى استحالت وردةً
مفروشةً في كأسِ خَوْدٍ
نامَ عنها الليلُ،
أو نامت عن الليلِ،
استقرَّتْ فوق رُمْحٍ،
واستراحتْ للأبدْ

ووعولٍ تَرِدُ الماءَ زُرافاتٍ

وتغفو..

قُرْبَ أسوار البلدْ

هذه منزلتي

جَرَسُ الماءِ يَرِنُّ

الفتياتُ اشتقنَ للبحرِ

طيورٌ من زَبَدْ

مَطَرٌ يسقطُ في شَعْرِ وَلَدْ

فارفع المصباح تلك الأمسية

للعصافير كلامٌ ولقلبي أغنية.

-٣-

قَمَرٌ في الماءِ، شمسٌ في الشجرْ
فلماذا أظلمَ العالمُ في شِعْري طويلاً
وأضاء الحُزْنُ حَبَّاتِ المَطَرْ؟
ولماذا حينما استيقظتُ من نومي
وجدتُ النومَ قد حَلَّ على كل البَشَرْ
كم من الضوضاء تكفي
كي يفيقَ الخَلْقُ
كم عُمْراً
سنرفو منه جُرْحَ الوقتِ
كم يحتاجُ ثَوْبي من إبَرْ؟
نام عن ليلاهُ قَيْسٌ
واشتكتنا الريحُ للأغصانِ
واغتمَّ الحَجَرْ
فدع الأمواتَ ترحلْ في سلامْ

سوف ألقاكم خلال النارِ
تصطفون في لَحْنٍ
وتنشقُّون عن بدر التمامْ
سوف ألقاكم عرايا من حُطام الأمسِ
تهتزون مثل الريشِ
في صدر الحَمامْ

فارفع المصباحَ تلك الأمسية
للعصافير كلامٌ، ولقلبي أغنية.

-٤-

عُمْرنا أطولُ من أفراحنا
وقليلُ أن نحبَّ الآن حتى مطلع الفجرِ
قليلٌ أن نخون الذاكرةَ
عُمْرُنا أقصرُ من شهوتنا
وكثيرٌ أن يمرَّ اليومُ إثر اليومِ
لا تنفجرُ الوردةُ حول الخاصرة
فافتحي البابَ قليلا
كي ترى روحي
طلوعَ الصُبْح من جسم امرأةْ
واتركي مابين ضلعين فضاءً
كي تقيمَ النارُ وَسْطَ المدفأةْ
اتركي نافذةَ للبحرِ
كي يضربَ قَلْعَ الروحِ
فوق الرُكْبةِ اليمنى
وخلِّيني..

كما خلَّى الندى
تاجا على زَهْرٍ
وشمساً مُطْفَأة

وارفعي المصباحَ تلك الأمسية
للعصافير كلامٌ، ولقلبي أغنيةْ.

عمرُكِ مليونُ سنة

-١-

أكرهُ أن أكونَ واحداً
في زَحْمةِ المرورْ
وأكرهُ الوقوفَ في الطابورْ
لكنني..
من أجلِ وجهكِ الذي يفيضُ كبرياءْ
سأملأُ الرملةَ والنخيلَ بالغناءْ.

-٢-

أعرفُ أنهم سيقبلونْ
من كل صَوْبٍ ينسلونْ
على جواد الشعْرِ سوف يركبونْ
وألفَ بيتٍ سوف يكتبون
وحين يقتضي الكلامُ ضحكةً
سيضحكونْ
وحين يقتضي الختامُ صرخةً
سيصرخونْ
وحين تأتي فقرةُ النضال في كلامهم
يناضلونْ
وحين تأتي فقرةُ الفداءِ
قدموا النفوسَ والعيونْ
لكنهم..
إن طولبوا بدرهمٍ
من أجل جرحك النبيلِ
سوف يهربونْ.

-٣-

عُمْرُكِ مليونُ سنةْ
وعمرُ حُبي لكِ،
منذ اخترع المصريُّ شكلَ الكلماتْ
ولوَّنَ البيضَ،
وأحضرَ البُهارَ من بلاد الحبشةْ
منذ ابتنى مراكبَ الشمسْ
وأطلق الهواءَ في شِراعِ الروحْ
وعَمَرَ الأرضَ
بنور وردةٍ مُلَوَّنةْ
عمركِ مليونُ سنة
وفوقكِ انحنيتُ
مثلما انحنت نُوتُ،
وضعتُ..
في غُبارِ الأزمنةْ
وفوقكِ انغرستُ مثلَ جُرْحٍ

في حرير سوسنةْ

أيتها الصَّبيةُ التي نهتْ قلبي عن العشقِ

فأدمنتُ الغزلْ

وعشتُ فوقَ صَدْرِها

كالنَّحْلِ..

في قُرْصِ العَسَلْ

وقلتُ:

هذه صَبيَّتي،

حبيبتي،

قاتلتي،

وأفدحُ الغرام ما قتلْ

وقلتُ:

فليكن دمي علامةً،

ومتُ فوق جِسْرٍ من قُبَلْ.

-٤-

رائحةٌ تأتي من الشرق على ضوء النهارْ
فكيف تختفين في أغنيةٍ،
وتضحكين في جِدارْ؟
وكيف ترقصين في حقيقتي
من غير أن يصيبكِ الدُّوارْ؟
وكيف تجمعينني
من ساحل الشامِ
وتعقدينني سوارْ
وتطلقين من دمي صقرا يَرِفُّ
فوق زرقة البحارْ؟
دعي جنون الخَلْقِ ريثما
أحسُّ عبقريةَ الولادة الجديدةْ
لكي أراكِ تحملين الطينَ
من خرائب التاريخِ
فوق ضوء نجمةٍ بعيدةْ

لكي أرى الشمسَ تمسُّ صَدْركِ الطَّرِيَّ
في قصيدةْ

دعي توتر العصافير لكي أرى يديكْ
ترتبان شَعْرَكِ الطويلا
وتأخذان من سحابة اليقين دمعةً
وتجريان نيلا
وتشعلان في محيطات الكلام أرخبيلا
دعي انشغالكِ الحزينَ بُرْهةً
لأبصرَ الوترْ
يصدرُ لحنَهُ الذي يجيءُ
في ارتعاشة الشَجَرْ
وفي حَصَى النهرِ، وفي تَبَدُّلِ القَمَرْ
وفي تعاقب الفصولِ، في مواسم الثَّمَرْ
في آخر الليلِ يضيءُ وجهكِ الجميلا.

-٥-

رأيتُ في جبينكِ المضيءِ نَجْمةً وليلكا
قلتُ: انتظرْ
حتى تحينَ لحظةٌ فترفعين اليَشْمَكا
وحينما ارتطمتُ في بهائك
انطوى شراعُ شِقْوَتي
ومَرْكِبُ الكلامِ في دمي تَفَكَّكا
وحينما سقطتُ في تُفاحكِ
انشغلتُ عن حكايتي
وبُلْبُلُ الزمان في عَقيرتي بكى
فقلتُ: هُزَّ بالغناء نخلتي
لعلكَ انطويتَ يا شراع محنتي
لعلكا.

شهادة قبل يوم الحساب

-١-

نامت على بيض الثعابين الحمامة
ماذا تبقى
كي نشيرَ إلى الجناة
الاسمُ معروفٌ
ولونُ الشَّعْرِ معروفٌ
وشكلُ الوجه معروفٌ
ولا يبقى سوى أن تنطقوا أسماءَهم
كي يرفعَ الدمُ إصبعاً
في وجه سافكهِ
ويلمعَ في الأكفِّ وفي الجباه
أما أنا

سأقولُ: تلك شهادتي للهِ
للتاريخِ
لابني
إن أتى يوما يحاسبني
وألقى في الفؤادِ
سهامَ أسئلةٍ مُعَذِّبةٍ
ورؤيا لا تُطاقْ
إن قال: كيف تركتموهم
يطفئون سنا البُراقْ
ويمزقونَ ثيابَ آمنةٍ
ويغتسلون في دمها المراقْ
إن قال: إن الخيلَ في بيروت قد ظمئتْ
وكُسِّرَتْ السيوفُ
وكان وجهُ اللهِ ينظرُ
أيُّ كَفٍّ سوف يشهرُ خنجرا
من أجل نُصْرتهِ؟

فلم تهتزُّ في رأسٍ عمامة
وتحوّلَ الأعرابُ في خزيٍ
إلى قططٍ تفتشُ في صناديق القمامة
وتحولت بيروتُ من حُلْمٍ
إلى يوم القيامة.

-٢-

بيروتُ كانت وردةً

في سُتْرةِ الزمن القبيحْ

بيروتُ كانت رعشةً للروحِ

في جسدٍ طريحْ

بيروتُ كانت طاقةً للنورِ

في بحرِ الجهالة

بيروتُ كانت تحت أشجارِ الهوى

أحلى غزالة

بيروتُ كانت فِضَّةً

صارت ترابا

بيروتُ كانت ضِحْكةً

صارت عذابا.

-٣-

الليلُ في بيروت يمضي
هؤلاء الناس لا خوف عليهم
بل علينا ألف خوفْ
كانت مهمتم بسيطة
البحثُ فورا
عن فلسطين الخبيئة في بطون الأمهاتْ
والبحث عن يافا التي هربت
ونامت بين أحضان البناتْ
والقبض في عَجَلٍ
على بيارة قد أزهرتْ
في ثغر طفلْ.
كانت مهمتهم بسيطة
دخلوا المخيمَ
ثم أطلقت الرصاصَ

أصابعٌ بشريةٌ
مثلي ومثلكَ
أيُّ عارْ؟
أن ننتمي لفصيلةٍ تُدْعى بَشَرْ
إن قيل إن الناسَ
في تلك البلاد من البشرْ.

-٤-

جئنا بعصر القتل تحت رعاية الأمم الكبيرة
وإبادة الإنسان تحت رعاية الأمم الكبيرة
وتلوث الأذهان تحت رعاية الأمم الكبيرة
كنا نكافح منذ آدمَ
كي تصيرَ ملامحُ الإنسان أكثرَ طيبةً
صارت حجارةْ
ولكي يسود العدلُ بين الناسِ
فانتصرت قوانينُ التجارةْ
ولكي يكون الحُبُّ رابطة القلوبِ
فصار بيتا للدعارة
كنا نقاتلُ
كي يصير القردُ إنسانا
فصار القرد غولا

ولكي يرى العميانُ
لكن العمى نسف العقولا
ولكي نُجَمِّلَ ليلَ دنيانا الدميمَ
فأطفئوا النورَ الجميلا.

-٥-

لا تفرحوا..
إن سَجَّلَ الإحصاءُ تعدادَ المواليد الجديدةْ
فغدا..
سينتصبون مثل النخل قامات مديدةْ
وغدا..
سينتشرون مثل النمل في الطرق العديدةْ
سيفتشون ضميركم
عن كل خافيةٍ بعيدةْ
وسيسألون قلوبكم
عن مصدر الهِمم القعيدةْ
وسيعلنون بمسمع الدنيا قرارَ الاتهامْ
كل الذين تهاونوا سيحاكمونْ

كل الذين استسلموا
سيعاقبونْ
حتى يعودَ الرُّشْدُ
للوطن الذي زرعوا بهِ
شَجَرَ الجنونْ.

تـاسوعـات

الطبعة الأولى: ١٩٩٦
الناشر: دار النهر

تاسوعات

١

كان النورُ طافياً فوق نُونِهِ.

٢

في الشَّواشِ الخافق ازدوجَ النورُ فكان الهواءُ المضيءُ وكانتْ

الرطوبة.

ثم

كانت السماءُ:

صحراءُ الزُّرقةِ التي يكسرُها غناءٌ فِضيٌّ إلى جُرْحينِ.

سيفٌ لامعٌ من ذكريات الكلمات القديمة.

المرأةُ المنحنيةُ ذاتُ الثدي المكشوفِ والعانةِ الذهبية.

الهواءُ المضيءُ يلمسُ بيديه المرفوعتين ظاهرَ البطن في مِعْراجِهِ اليوميِّ.

٣

ثم كانت الأرضُ.

كَتِفُ النورِ
وظهرُهُ المليءُ بالصُّوَى والأدماثِ.

بُرْجُ الحاسَّةِ
ورافعةُ العناصر الثقيلةِ
إلى ميزان القلبِ

عضلةُ الوردةِ
وكبريتُ الماءِ

كان الهواءُ المضيءُ يأتيها وهي مستلقيةٌ
في رَمَضِها ومَضِها، فيفرق بين ريحانتيها،
ثم ينفخ فيها نَفَساً، تضطربُ له اضطرابا،
تظهرُ له نارٌ في المشرق ونارٌ في الغرب،
وبين النارين ناران، فتكتملُ النيرانُ الأربعُ،
ثم ينصرف عنها وليس فيها إلا نَسيسٌ يخبو.

نار(١)

أيقظ ساقي الطبيعة النائمتينِ
ودعاها إلى الرقصِ
فقامت بهشيمها
وجَمِيمها
وانطرحت أمامهُ
مثل طَيْلسانٍ
مزَّقهُ قرنا ثورٍ إلهيٍّ

وأحضرَ حديدا
فسواه فأساً
وذهب إلى قِرْدٍ أحمقَ
فأقامَهُ
على قائمتيهِ الخلفيتينِ
وعَلَّمَهُ كيف يحفرُ أرضا
وكيف يُنْبت زرعاً

وأولمَ وليمةً

دعا إليها خلائقَ الأرضِ

فحضر من كل أمةٍ..

زوجان

ثم أخرج لهم دابةً تُحَدثهم

من تسعة وتسعين رأسا

عن تسعة وتسعين علماً

بينما الرأسُ المائةُ تُطِلُّ

بلا عينين ولا شفتين.

نار(٢)

.. قالت: أنا خفيفةٌ يا أمي
وكان السماءُ الشرقيُّ
يرقد بين فخذيها

صَعَدَ الجبلُ
إلى حُزْنها
حيث الوجهُ البحريُّ
يشتلُ نَعناعَه
والصعيدُ يُرَطبُ جَبْهتَه

.. قالت/
قلبي حارٌّ
كأنما وضعوه في قِدْرٍ يغلي

.. وكان النيلُ يتحدَّرُ
وَسطِ الجنادلِ
حاملاً الزمانَ على ظهرهِ
حَجَراً مريجاً
ـ اتركي الآن عَوْسَجَةَ القلبِ
سوف أجيئكِ حاملا
الثَوْمَ والبصلَ الأخضرَ
حيث تُصلْصِلُ أعضائي
حَوْلكِ
وتَضيءُ حواسي
.. وقالت/
كيف ألملمُ من شَعْرِ الشمس المنكوشِ
ضَفيرةَ نور؟
وكان الحَشَفُ الميتُ
يتطايرُ
في ريحٍ
تخطفُ من هام الشجرِ
هديلَ الروح.

نار(٣)

كان يَتَنَزَّلُ سَهْمَ ظلامٍ في جَسَد الأرضِ
وقيل:
جاء بعد أن ترك صورتَهُ في جهنمَ
ثم جلسَ في تقاطع الطريق يصنعُ صولجانَهُ
من رنين الرمل

وقيل:
هو نقطةُ بازلت أسودَ
سالتْ
من جَبْهةِ نَجْمٍ غاضب

وأن شَمْسَهُ بَقِيَّةٌ
من حريقٍ لا يضيءُ
وَمَطَرُهُ قبلَ أن يلمسَ الأرضَ..
يعودُ

وقيل أيضاً:

بل تمايزتْ به الأعراضُ والجواهرُ،

المُرَكَّباتُ والبسائطُ،

وتمايزت..

المُشاهداتُ والمُجَرَّباتُ

المُتَواتراتُ والوهْمِيّاتُ

المُسَلَّماتُ والمشهوراتُ

المقبولاتُ والمظنوناتُ

حتى إن المَوْجَةَ إذا خلعت نَعْلَيها

وابتدأت زمنَها المائيَّ..

جعلتهُ

بَوْصلَةً لشهوتِها

وأنه قد جَعَلَ لأبدان النساءِ

وَطْأَةَ الحصْنِ

وخِفَّةَ الهواءِ

ولِمَشاهدهنَّ..

قَلَقَ الوَحْشِ
وشفافية الزلازلِ

وقيلَ:
بل هو قُنْبُلَةُ الأضدادِ
تحت أساس الكونِ
حيث ترتجفُ العناصرُ في اتحادها
وانفصالها
وحيث الأرضُ..
قفا السماء.

نار(٤)

رَبَّةُ الكتابة تبري أقلامَها
من عظام الحيوانات
وريش الإوَزّ البَريّ
وتصنعُ مِدادَها
من أصباغ النباتات
ومن قوسِ قُزح

في مساءات الريح والبرقِ
تجلسُ هادئة رَبةُ الكتابةِ
فوق عذابها

وفي صباحاتِ الوردةِ والندى
حيث ينهضُ الوجودُ
على ساقٍ واحدةٍ
مثل ذَكَرِ البطِّ
تدخلُ رَبَّةُ الكتابةِ:
في بَهْجة المطر الذي يَهْمي
على ورق الكُرُنْبِ
وفي دفء كومة التبن الذي يلمسُ جِلْدَ الظهر
وفي روائح الخشب الذي شقَّته بَلْطةُ ضَـوْء
وفي سِفاد العصافير على أسلاك الكهربـاء

تهبط رَبَّةُ الكتابةِ:
إلى وَشَلٍ
من الزيتِ والجَمْرِ
حيث آلهةُ العُمْرِ
غرقى
والجواهرُ القديمةُ
مطمورةٌ..
في قارَّةٍ تغفو
وحيث الأحجارُ السوداء الضخمةُ
منقوشةٌ..
بكتاباتٍ
جنائزيةٍ..

وطائرُ الريحان فوق الرمل يَزْقو.

٤

صحراءُ الدم التي يكسرِها نشيدٌ إلى
رُمْحين.

كان الخزّافُ الإلهيُّ يُشَكِّلُ على دولابهِ
الخَلْقَ
والفَتْقُ الكونيُّ اتسعَ

تجيءُ من الطمي الريحانيِّ برايا
تخرجُ أزواجا أزواجاً
مثلومين ومنهومينَ

السهلُ الروحيُّ زها
بدفائنِ الحجرِ الحيِّ وبلاغةِ البُرُنزِ
ورَقَّ الماموثُ فصار ندى

وأتى الهدّامون البناءونَ
دُعاةُ الفُرْقة

وبُناةُ القرميدِ الأحمرِ في سقف العُمْرِ
مقترفو خطأ القلب الغلاب
شُداةُ الشِّعْر على قَمَر الجُرْح العالي

وأتى البناءون الهدامونَ
رُعاةُ العيسِ
وقوادُ جيوشِ الرملِ
إلى أحداق اليَعْفور الصّاحي
محترفو القبض على لأواءِ البدن الجياشِ
وأتى من خلف الوردة بُسْتانيٌّ النار

وأنت قِطّةُ السماءِ
من بُحْرانها
فراؤها يبيضُّ
تحت نعمةِ الشمسِ
وهُدّاب النورِ
وابتهاجها سيفٌ هِنْدوانيٌّ
يقطعُ حَبْلَ الموت

الكَبْشُ الأقرنُ ظَلَّ على عَجلتهِ
نارٌ في الغابة
وأبو قِردان وراءَ المحراث
هذا الحيوانُ المنتصبُ على ساقيهِ
مذبحةٌ؟ أم ذَبيحة؟

فضلاتُ الطيرِ
ذؤاباتُ النخلِ
الهادياتُ من الوَحْش يُثِرْن الأرضَ
حُمْرةٌ مُشْتعلةٌ على زجاج الماءِ
وَرَقٌ ميتٌ يَتَعَفَّنُ
الخَليقةُ وَجْهٌ ناضرٌ يصحو من نومهِ
أقامَ داخل حَبَّةِ الرملِ
مدينةَ الوردةِ، ومَطارَ الروح
ليس لكفِ الجميلة جدودٌ
فلماذا تتعثرُ الخيلُ في قُبْلتها؟
فليكن أنه أمرؤ القيسِ، لكن عمودَ

الخيمة مُنْتصِبٌ، وسقفَ الخيمة عالٍ

هل الثلجُ غَيْمٌ حَجَريٌّ
والوردةُ.. جحيمٌ ناعمٌ؟

ليس في فُرْنِ الطريدة قَشٌ
والفارسُ لا أحشاءَ لهُ
لذا فقد اتسعت بُقْعةُ الدمِ
حتى غطتْ قَمَرَ السيفِ
وأخفى البطُّ مناقيرَهُ
في ريشِ حواصلهِ

كان البركانُ
يتجزَّأُ
إلى بضعةِ كواكبَ
وقليلٍ
من الرياحينِ
وخميرةِ ريحٍ

والنَّفَسُ العارمُ يتدهورُ

طولياً..
يشطرُ الخَطُّ شعاعَ الضوءِ
تابوتٌ على قَدْرِ القامةِ
الصعودُ إلى مدافن الجبل صَعْبٌ
والرجوعُ سقوطٌ
عَداءٌ يَرِثُ الأرضَ

صحراءُ مفتوحةٌ لناقوس التيهِ
المرايا تعيدُ طَبْعَ الواحدِ
لكن الوَحشةَ داميةٌ
مُصَلْصلاتٌ للربةِ
وسِلالٌ من الورد وقِثّاءُ
وُضِعَ الميزانُ
فرجحت كَفَّةُ آلامي

التفَّ الثعبانُ على ساق البَرْدي
تخرجُ من الهيش دجاجةُ البَرِّ جائعةً
حتى لو توقفت الساعةُ
فإن الزمن يمضي

كان الثورُ منتصباً
وللأسد نظرةٌ وَحْشيةٌ
البحرُ الأحمرُ صَدْعٌ يتسعُ
طوابيرُ من الفضة تسألُ:
كيف ترِنُّ الطعنةُ؟

٥

لكم غناؤكم
ولي كلُّ الأغاني.

١٠/ ١ / ١٩٩٣

صَقْلُ حَجَرِ الرَّعْد

١

أُفُقٌ أبعدُ من زئيرٍ
والرملُ في دوَّامة الريحِ
يرتفعُ إلى أعلى الطَّعنةِ

لَبؤةٌ حَرَّكت المحورَ نحو القوسِ
والميزانُ اهتزَّ

سيدةُ الصحراءِ
سيدةُ الموسيقى
نَفَسٌ يقتلعُ المغروساتِ
ويشعلُ أطرافَ الماءِ

الرَّكْبُ المَلَكيُّ:
كارثةٌ على وَتَرٍ
وردةٌ على ساطورٍ

والمدائنُ مفتوحةٌ لضلالٍ جليل.

٢

الماءُ يكشفُ اهتزازَهُ الفَلَكيَّ
غابةٌ خضراءُ في راحةٍ
جاء الطوفانُ من ثَقْبِ الإبرةِ
لكن الهولَ أخيرا عَمَّ
شَهْوةٌ محفورةٌ
كالخَطِّ المسماريِّ
على بَطْنٍ

لدوائرِ فَخذيكِ اهتزازُ قارتينِ
وهَديلُ جُرحٍ

الجبالُ محفورةٌ..
بذيل سحابةٍ
وطاووسُ الزمان يُجَمْجِمُ

الهواءُ المعدنيُّ
ينحلُّ إلى حنينٍ

التيائلُ دقَّتْ قرونَها في شجارِ التزاوجِ
الانهيارُ الأرضيُّ
يكشفُ عن رِقةٍ
الحقائقُ جيّاشةٌ وعلى العُشْبِ أُكذوبةٌ
تنمو
رَبَّاحٌ عاوٍ وسعادينُ
خَميرةٌ لعجينٍ إنسانيٍّ
التمساحُ بهيًّا يسبحُ
فوق الماءِ
المشهدُ أجزاءٌ لكن المِغْزلَ نسَّاجٌ.

٣

بَغاءٌ يَرُجُّ الأرضَ بعنفٍ حيوانيٍّ
اللبؤةُ سيدةُ القُطْرِ، نامتْ في حِقْوٍ
الساقان المشعِرتانِ
تقومان الليلَ
والعضلاتُ يُخَبِئنَ حديدًا يَتَنَزَّى

بطنكِ وادٍ..
يهبطُهُ الرُّعْيانُ
على مَهَلٍ
للسُّقيا
وقضاء الحاجاتِ
حيث رِشاءُ البئرِ طويلٌ
والعُشبُ النامي
أعلى من الرَّسيسِ
ورمحُ الظلِ
مُنعَفِرٌ

الشَّفْرانِ اشتعلت بينهما نارٌ
ليست للطهيِ
ولا للتدفئةِ
ولا..
لإنارةِ المنزلِ،
بل لتخزين الصواعقِ
في أُقْيانوسِ الرغبةِ
وصقلِ حَجَرِ الرَّعْدِ على حَوْضٍ

دَرَجاتٌ من الرخام المُتْربِ
لا تقودُ إلى كَنْزٍ
بل..
إلى طوفانٍ..
حيث لاهوتُ الأعضاءِ يتسعُ
لمستحيلاتِ البصيرةِ
وحيثُ الشمسُ
إله طينيٌّ

يضعُ خَطَّ الإستواءِ
في منتصف العانةِ
ويترك للعصور المَطيرةِ
زخرفةَ الصوّان
وتشكيلَ النحاسِ
بأزميلِ الروحِ
حتى لا يبقى في الأرض فراغٌ
لا تضربهُ الريحانةُ
أو يُفزعُهُ
جَرَسُ القمر الليليُّ.

٤

نباتٌ عملاقيٌّ
يُظَلِّلُ أشكالَ الوجودِ
الغليظةَ
وأشكالَ الوجودِ
الرفّافةَ
وطائرُ الوروارِ منشغلٌ
باصطياد النحلِ
والثيرانُ الداكنةُ تهربُ
من حَمارَّةِ القيظِ

هكذا سال الدمُ
من فخذِ حَتْحورَ
فغطَّى مُقَرْنصاتِ البابِ
وقبابَ السقفِ

وهكذا انتشرَ الفِطْرُ الأخضرُ
والهوامُ الفسفوريُّ
وذبابُ الفاكهةِ
وقنفذُ النملِ
ورَفَّ الحسُّونُ على
أغنيةٍ
وتجعدَ جِلْدُ الماءِ

كان بَهْوُ الروحِ مفتوحاً على هواءٍ منيرٍ

../ وخادماتُ المعبدِ..
ينقلن جِرارَ الماءِ من النيلِ
ويسكبن اللبنَ
ويصنعنَ سِلالاً من الخُوصِ
لحملِ الأزهارِ
وأنواعِ الأنبذةِ
ولحمِ التيوسِ

.. / وكان نَفِيٌّ من الحَصْباءِ يطيرُ
فوق حوافر المُذْكِياتِ من الخيلِ
وأرتالٌ من الوعول الحُمر تهبطُ
مندفعةً من شماريخ الجبالِ وسيــلٌ
يجرفُ التربةَ وأَوْجِرة الوَحْــشِ
ومغارات الصيادين..

عنفٌ حَيٌّ
يملأ عَرَصاتِ الأرضِ
كما تمتلئُ العينُ بالنومِ
أو ينتشرُ التعبُ على سِجادةٍ

.. / لذا فقد صبَّتْ الفتياتُ
على رأسها الماءَ
وحككنَ كَعْبيها
بالحَجَر النوبيِّ

وأنهضنَ حُلْمَتيها
بلمسات مُدَرَّبات
فَبَدَتْ خلفَ جدائلها أُذنا البقرةِ
وأضاءَ عمودُ النور الليِّنُ في خُطواتِه
نحو البابِ

وجاءت حشودُ الناسِ

وعشراتُ الأقزامِ
والعديدُ من المُصَلْصِلاتِ
وباعةُ الطِّيب والمُرِّ
وعازفو المِزْمار البلديِّ
وحاملو الغزلان والتيائلِ
والنسوةُ ثقيلاتُ الأردافِ
وصُنَّاعُ الحُلِيِّ الذهبيةِ
وحاملو المشاعل والمباخرِ

والكهنةُ والفلاحونَ
وجماعاتُ القرودِ
وأصحابُ العاهاتِ
وساروا..

من شروق الحُزن
إلى قيامة الوردةِ.

٥

سيدةُ الموسيقى،
تخرجُ الآن من وَتَرِ القوسِ
لكي تضعَ على الأرضِ
قيراطَ حنين
تعجزُ الخَلْقُ عن نَقْلِه

فمن آلائه:
الرغيفُ الذي أطعم جيشاً
والقِدْرُ الذي كلما نَفَدَ امتلأ طعاماً
والحَوضُ الذي أبهجَ البَدْوَ
وزُرَّاعَ القمحِ الساحليِّ
والوردةَ التي خرجت من المزهريةِ
فأزاحت الستائرَ
وحَمَلَتْ على فخذيها حَجَرَ الرَّعْدِ

ومن آلائه:

طَمَثُ البنتِ تحت رُفات صاعقة

وبلبلُ اللون الذي غنَّى

بصوتٍ أخضرَ

وعودةُ الطَّيْرِ من مَهاجرِهِ

وارتفاعُ الماءِ ذراعاً آخرَ

في مقياس الروضةِ

ودُنوُّ السماء من الأرضِ

في شَفَقٍ لمَّاسٍ

وغُلُوُّ الضُحَى في عقيدة العَيْشِ

والطوارقُ التي أضرمت ناراً

في الكلماتِ

وفي أضغاثِ الريحانِ

والطفولةُ التي كسرت رُمْحاً

ومن آلائهِ:

رائحةُ الخبيزِ
ووجهُ اللبن الصابحِ
والكانونُ
وقَشُّ الذكرى
والنَفَسُ الذي يذهبُ ويجيءُ
في رئة الرملِ
والبرزخُ الذي يفصلُ
بين أُجاج الحربِ
وفُرات الحُبِّ

وكان قطارٌ من الناس والخيل والنخلِ
يذوبُ في نقطة الأفقِ
والشمسُ
والقمرُ
بِحُسْبان.

٦

سيدةُ الصحراءِ
سيدةُ الموسيقى
نَفَسٌ يقتلعُ المغروساتِ
ويُشعلُ أطرافَ الماءِ

الطريقُ الملكيُّ
مرصوفٌ بجماجمَ
وحوافرِ ليلٍ

والصفيحُ الذي يَرِنُّ على دَرَجٍ
يُديرُ السُّكانَ،
ويُحركُ جيرسكوبَ الأرضِ

.. / وهكذا تمتدُّ النارُ
إلى العِهْنِ المنفوشِ
وينفرطُ عِقدُ النجومِ

على تراب الرؤيةِ
حيث انتهكتْ
حِدَّةُ الرُمْحِ
أنوثةَ الحريرِ

.. وهكذا يشتدُّ زئيرُ الوحدةِ
في ثَقْبِ الإبرةِ
ويفورُ محيطُ الدَّمْعِ
وتشتدُّ وطأةُ البياضِ
على الأحداقِ
ويصيرُ السِّجْنُ أضيقَ
من جِلْدِ الثعبانِ

كارثةٌ وساطورٌ
وما بينهما ارتجافُ مدينةٍ
في خريطةِ الرملِ
وصيحةُ طائرِ الجيرِ

سوف يهتزُّ حَبْلُ الهواء الذي
ينشرُ الزمانُ عليه سراويلَهِ
وخرائبهِ المقدسةَ
وسوفَ يظلُّ سَرْسُوبٌ
من الدم يلمعُ
فوق أكُفِّ الضباط والجنود والضحايا
بعد زوال اللحم عنها
بينما ستزولُ لَذْغةُ الشهوة
من بين أحواض النساء النَّخِراتِ
وسوف تسقطُ
أعضاءُ الرجال الجنسيةُ
فوق الترابِ
وسوف تتشابه العظامُ كثيرا.

٧

وردةٌ من الحديد لا يفتحُها سيفُ الماءِ
الطرقاتُ تقودُ إلى الطرقاتِ. وهكذا
دواليك.

دَعْكَ من قالَ وقيلَ ويقالُ
فهذه النارُ طيبةٌ
والداخلُ فيها فِرْدَوْسِيٌّ
والسلامُ عليكَ
يومَ تجيءُ إليكَ الدنيا طَيِّعَةً
ويمرُّ على نايكَ
موكبُ الأشياءِ

لم تكن الغزالةُ كومةَ قَشٍّ
كانت لحما حَيّاً
وعيوناً واسعةً

وقروناً
تجرحُ شَفَةَ الفضاءِ

امرأةٌ من الماء جلست تبيعُ الطماطمَ
في سوق الجمعة تحت كوبري دمنهورَ
العُلْويِّ وترحلُ إلى طيبةَ
بعد الظُهْرِ

البحرُ مضطربٌ
فكيف تثبتُ سفينةُ حُزْني؟
من الذي ضرب حتحورَ بسرطان الثدي؟
السِّكَةُ الحديدُ
تشطرُ المدينةَ إلى ألمين
الضَّالونَ قتلوا المجوسَ
جاء الباطلُ..
فاقذفْ بحصاتكَ
غُصْنَ الغناءِ

الكلماتُ زكائبُ قُطْنٍ
من يسكبُ عليها نَفطاً؟
ثم يصنعُ بها حريقاً
بحجم الدّوارِ الكونيِّ؟
كذلك القروشُ والحيتانُ والدلافينُ
تهربُ منزعجةً من رائحة الموتِ

- اِطلعي بَقى

ترعة الخندق الشرقيِّ
تمشي الهُوينى
على بطنها،
تقودها بطةٌ بدون رأسٍ

القادمون إلى دمنهورَ يصعدونَ
من باطن الأرضِ

الزلزالُ يضربُ أربعينَها
فتفرُّ إلى أبيها،
وأمها وأخيها:

_ أخويا صلاح.. أنا تعبت

امرأة الماء غَنَّتْ
لغصنٍ من النورِ
يلمعُ في تاج المساءِ

هل يقبلُ علي عزت بيجوفينتش اعتذارَ
النظام الدوليِّ الجديد؟

ليست الجغرافيا وعاءَ التاريخ فقط..
بل هي مَلْهاهُ الليليُّ
وأحيانا
ممسحةُ حذائهِ

الصباحُ يَرِنُّ في قَبضتي
ازدادت ضرباتُ القلب بشكلٍ ينذرُ
بفشلِ تنفسِيٍّ

رايةُ البهجة مرفوعةٌ
على أرض الشهوةِ
المُحَرَّرَة

امرأةُ الماءِ نامت على فُرْنٍ
لقد قالت للفراشةِ التي تطنُّ في لَهاتها: اطلعي

.. وعندما كنتُ أظنُّ
أنني أضربُ الزمانَ
على عجيزته استغرقني الرملُ

كذلك نجيناكَ من الغمِّ

والراحلون عن دمنهور يهبطونَ
على سُلم المحطة مثلومين.

١٩٩٣-٤-٢٨
١٩٩٣-١٠-٢

هوامش الريح

١

هذه شمسٌ تَفْتَتِحُ الأرضَ وتنشرُ ذاكرةَ الترابِ.

للهباءِ الذي يرسمُ الضوءَ كلامٌ
والحصى مدنٌ مأهولةٌ بالسُّكان والطيرِ
الذي يموتُ في نشيدِهِ

هذا إبطُ الوردةِ،
وهوامشُ الريحِ،
ومذاقُ الأبدِ الحامضِ

هل يظلُّ الماءُ ماءً عند حَدِّ الماء والرملِ؟
وهل يعيدُ الماءُ شكلَ الغيمةِ الرفَّافَ
هيكلَ الندى؟

هل قَدَمُ الهواء تطايرتْ
وانحلَّ بدنُ الريحِ؟

هذه نافذة الكون التي تدورُ حول محورها
حين يخبطها زفيري

٢

وردةٌ ولُغْمٌ.
شمسٌ وبازلتٌ يتبخرُ
إنسانٌ يتسعُ لمشهد إنسانٍ مُجْتَزَءٍ
والأيامُ بقايا مأدبةٍ
غادرها البحرُ
وهذا البلبلُ ذكرى عبثٍ كونيٍّ
فكيف أعودُ من آخر المذاقِ
إلى جسم الثمرةِ؟

طيورٌ على السلكِ جَفَّتْ سريعا
طرقاتٌ متعبةٌ
نامت فوق شجاها
صوتٌ محبوسٌ
في طَبْلٍ مبتلٍّ

أفقٌ عارٍ من موسيقاهُ
وأنا
أسكنُ وسط زلازل البُرْعُمِ
بين صدع الجبلِ
ورفيف الهواءِ
عند النبع الذي يَدْفُقُ حركةً
وانهدامات
ووجوداً فَرَّاراً
قُرْبَ قيامةِ الوردةِ
والطائرِ البحريِّ
ووَحْشِ الفلاةِ

أرقبُ وَطْأةَ هذا الهجوم الشكليِّ
ظِلَّ السحابةِ الهائلةِ
وذَهَبَ الفَراشاتِ

الكَركَدَنّ والحُبارَى
البَشَرَ الحافِينَ من حول موكب الطبيعة السيَّال
إبرةَ الزمن المسنَّنَةَ
وقطيفةَ الأفق المكفوفة
صمتَ الحجرِ
وضوضاءَ النُسْغِ

وأقولُ.. /
هل من مكانٍ ثابتٍ
أزرعُ فيه شجرةَ أيامي؟
هل من موضعٍ ثابتٍ
لقَدَمِ الدهرِ؟

أيتها الأرضُ الحُبْلَى
انقذي بَدَني من فُتوحات الشمسِ
ومن أكاذيبِ الهواءِ

فالذين ذهبوا
لم يذهبوا
والذين عادوا
لم يعودوا
والذي يلمعُ فوق السيفِ
دخانٌ حَيٌّ يتبددُ
والأحجارُ دِماءُ

وهناك رأيتُكَ
لكنكَ لم تكن موجوداً
فأين أنا؟

٣

تحت هذا الحَجَرِ
النائمِ
أكوانٌ من الفضّةِ
أشجارٌ من الشفق الهاربِ
ألوانٌ تَهْمي من ناقوس الظهيرةِ

تحت هذا الحّجّرِ
النائمِ
بيتٌ من مَطَرٍ
شَمْسٌ من ذاكرة البحرِ
حروفٌ من أبجدية الرغبةِ

وكلامُ الموتى
خيطٌ منسولٌ
في قفطانِ الأيام

أين يرقدُ شَيْخُ الظهيرة الأخضرُ
تحت طبقات المتعة المعدنية؟
أم قُرْبَ جَهَنم حُزنٍ؟

لا أبالي كثيرا
فهناك فاصلةٌ أحياناً
بين السكين ورأس الوردةِ
وهناك امتزاجٌ دائما
بين القبلةِ وشِفاهِ الموت
ولن أبالي كثيرا

وسوف أتركُ لهذه الانهيارات الأرضيةِ
أن تضبطَ رقصتي
ثم أُمَرِّرُ يدى
خلال هذه الكائنات الهائلة السوداء

حيثُ يسيلُ الشمعُ الأحمرُ
ساخنا
على فَخْذِ امرأة الليلِ

تحت هذا الحَجَرِ
النائمِ
فرَسٌ بُنّيٌّ
وبقايا غابات مُشْتعلات
وعواصفُ مُهْملةٌ
وشواطئُ من غير بحارٍ

فكيف لهذا الشجن الجامد أن يَتَخَطَّفَهُ الطيرُ هديلا
وتُذَرِّيهِ الصبواتُ؟
وكيف لهذا الفَنَنِ الناعمِ أن يَنْبُتَ في حَجَر الكلمات
وفي قَلَق الظلِّ
وتواشيح الماءِ
وفي جوع الفتياتِ؟

سوف أترِكُ لهذه الجَرَّةِ المليئةِ بالعُمْلَةِ الذهبيةِ
أن تدفعَ جِزْيَةَ أحلامي
ثم أُخَلِّصُ نَفْسي قليلاً
داخل هذا الفَلَكِ الكونيِّ الأَدْرَد

٤

اقتربت ساعةُ الريحانِ
وانشقَّ الحديدُ الحَيُّ
وخرجت ساطعةُ النهدينِ
إلى ساطع الخاصرة

لهما سحابةٌ خضراءُ
وشمسٌ خضراءُ
وأفقٌ أخضر
وللسماء أن تَتَزَيَّنَ بصهيل الماء

انتشري

أيتها السحاباتُ المُثْقَلاتُ بالنَعْناعِ والبَخُور
وانعقدي على قَدَمِ الفِضَّةِ
وحشائش النحاسِ

وذُوري وسطَ دورةِ الكون والفسادِ
عسى أن يهجعَ الجَمَلُ الهائجُ في سَمِّ الخِياط

يحلو علي أعضائكِ الزمنُ المُرُّ
وتستقيمُ حَدْبَةُ الأيامِ

يَسْطَعُ بَطٌّ الماءِ
وتلمسُ أطرافَ الشجرِ المُتَهَدِّلِ بَدَنَ الماءِ
ويمرقُ سهمٌ مائيٌّ في فَخْذٍ
أَلْيَنَ من زُبْدٍ
وأشدَّ من البُرَحاءِ

لهما نَيْزَكٌ مُشْتَعِلٌ
وسماطٌ مبسوطٌ
وخُبْزٌ ساخنٌ
ودورقٌ مُزَخْرَفٌ بأيائلَ وثَّابةٍ
ولهما سَجْعُ القدمينِ
وطِباقُ الأطرافِ

ارفعي عن كَتِفِ الوردةِ عَرْقَها
حتى تَتَمَدَّدَ ليقينها الزاهي
حتى يتبخَّرَ فوق قَطيفتها الجامدُ والسائلُ
حتى تَرْفَضَّ أوابدُها
وشواهدُها
وشواردُها
ويجيءَ إليها الحَجَرُ الذاهلُ

.. / وقالت لهُ
مدينتي مفتوحةٌ للجيشِ
كلُّ جارحةٍ تَفُكُّ طَوْطَمَها
وتُعلنُ نَفْسَها عاصمةً لي
فادعُ جنودكَ المرابطينَ
يقتلعونَ الأحجارَ
وينقلونَ الرَّدْمَ
ويفتحونَ قُفْلَ هذا البابِ
وليكن لكَ في كل عاصمةٍ أميرٌ

من الجبَّارينَ
الأخَّاذينَ
القوَّالينْ
ثم اجمعني من أمرائكَ وانشرني
وسطَ ثَنِيَّاتِ الأحزانْ

.. / وقالَ:
إذا استعصى العالمُ
أستفتي مُعْجمَ أعضائك
وإن استعصيتِ استفتيتُ حواسِّي
فإن ارتبكتْ
أنقذني فقْهُ اللمسِ
وفِقْهُ الشَّمِ
وفِقهُ النظراتِ

ودخلتُ الغابةَ وَحْدي.

ثَقْبٌ

أدخلتُ فيه مدينةً

ومدينةٌ

أدخلتُ فيها قارَّةً خضراءَ

وقارةٌ

أدخلتُ فيها عالَما يَهْذي

وطَوَّحتُ الوصايا

أوشكَ الناموسُ أن يضع النقابَ

ورَقَّ سَجْفُ الليلِ

ضاع الأقحوانُ

تجوَّلتْ في الصَّدْرِ عاشقةٌ تُغَني

غام حدُّ المستحيلِ

تداخلت في العين مملكةٌ ومملكةٌ

الماءُ والنارُ

انفجار العالم المعهود في فَرَحٍ خُرافيٍّ

فمن يقيسُ عَرْضَ الريحِ؟
ومن يَرُجُني رَجًّا؟
ويملأُ راحتيَّ بخَصْرِ
عاصفةٍ
ويمنحني سماءً صالحةً لإبحار قلبي؟

هل بمقدوركَ أن توقفَ هذه العَجَلةَ الدوّارةَ؟
إذن دعني أواصلْ هذا العَبَثَ الأخضرَ
دعني أقلِّدْ هذا الجنونَ الرحيم
حتى
إذا استحال الكونُ إلى شبكةٍ مليئةٍ بالثقوبِ
غمرتني شمسٌ جديدةٌ، وملأتْ دجاجاتُ الضوءِ
حظيرةَ الحياةِ

وقام من سُباتِه الطائرُ والنابتُ
والسَّابحُ والراكضُ
والمُستَوحِشُ والمؤتنسُ
وخَطَّافُ القوتِ
وطنَّانُ الصوتِ
ومَشَتْ كلُّ دابَّةٍ إلى فتْنتِها
وارتجَّتْ في بَهْجَتِها الأرضُ
وجاء الإنسانُ.

٦

.. / قالت المَوْجَةُ:
ماءٌ أنا
أم حَرَكة؟
وأتى العالمُ على ناي
وقامت اليمامةُ
على هديلها

.. / وقالت الدَّمْعَةُ:
ماءٌ أنا
أم شمسٌ صغيرة؟
أشعلت شَعْرَ الدقائق والثواني؟

وكان صَقْرٌ يُفَتِّشُ الهواءَ عن صَيْحَةِ البارحة

ما الذي يُمْسِكهُ القَلْبُ فيبقى؟
ما الذي تأخذه العَيْنُ من قَوْسِ قُزَحٍ؟
ليس فيكم من يُقيمُ الرملَ فوق العاصفة
ليس فيكم من يُجيرُ النارَ من ماء الزمان

فتعالوا نتعلمْ
حِكْمَةَ الصَّوْمِ على مائدة الثُعْلبان.

مارس ١٩٩١

ختان البرعم البلدي

طَيِّبٌ

يا

لسانَ العصفورِ

اللاغي

وطَيِّبَةٌ وردتُكَ المُبْتَلَّةُ

وطَيْلسانُكَ الحريرُ

وطَيِّبٌ شَوْكُكَ البَرِّيُّ

وبئرُكَ العميقةُ

وطيبةٌ حدودُكَ

وما قبلها

وما بعدها

وطَيِّبٌ عَلَمُكَ الوطنيُّ
وعَلَمُ الجيشِ الغازي

أرضُكَ ضيِّقةٌ
لكن الأسطورةَ أوسعُ
والطَّعناتُ أدقُ
ووزنُ الصاعقةِ خفيفٌ
والهابطُ دَرَجاتكَ
ينغلقُ عليه الجُرْحُ
وينسدُّ الشِّقُ الأرضيُّ

ولنا أن نتجوَّلَ في بَهْوِكَ
نصلُ المركزَ بالدائرةِ
ونَصِلُ الحَوْضَ بقصبِ الناي

ولنا

أن نتنافرَ،

أن نتضافرَ،

أن نَحْتكَّ،

وأن ننفكَّ

أن نسقطَ

في

كُرْسيِّ البهجةِ

مثل

الثوبِ المُلْقَى

ولنا جَمْرُ الماءِ

وطاووسُ الفَخْذَينِ

لنا جَزَّةُ الصوفِ

وكَوْثَرُ الشفتينِ

ولهم الخَيْلُ والليلُ والبيداءُ
وداحسُ والغبراءُ

لنا وَطَنٌ من قطيفةٍ وعُنَّابٍ
ولهم شَفْرَةُ المَشْرطِ
وأدواتُ الجَزِّ
فهل يقدرُ الناعمُ الطَّافرُ من وَرْدَتهِ
أن يدفعَ الرملَ الذي يتناسلُ في الكلماتِ
وأن يرفعَ الحافرَ عن مدخل بلدتهِ؟

هل يستطيعُ البديعُ
أن يغسلَ الهواءَ من دخان ألف عام
وأن ينظِّفَ الرغبةَ من تعاليم الموت؟

ها هو الريحانيُّ
على بوابةِ

مَرْجَتِهِ
يمنعُ الرعاةَ عن حَوْضِهِ
وعن جُمَّتِه
ويهدمُ النُّؤْيَ والأثافِيَّ
ويشعلُ نارَه الخاصةَ
في نِكَّتِهِ

الخارجيُّ
كأنهُ استقامَ
كي يقيمَ السِّكةَ
كي يُحَوِّلَ الخلقَ
إلى سكَّته
كأن طَرَفَهُ
طَرَفُ قرْنٍ
يحملُ العالمَ في قِمَّتِهِ

كأنه عبقريٌّ
هَجَرَ الناسَ
والضوضاءَ
وعاش مُزْدحما
في وِحْدتهِ

كأنما الأرضُ
والسماءُ
وما بينهما
مساحةٌ قيستْ
على غُلْمَتهِ

وقامَ من رمادِهِ الريحانيُّ
باحثاً
عن لَحْمهِ الممزوقِ
عن طُرَّتهِ

عن حَدِّهُ
إذا الحديدُ حَدَّهُ
عن صاعقة العُشْبِ
إذا ريحُ الجزيرةِ ألقتها
على خنجر رملٍ

.. وقام من رماده الليليُّ
حاملا وَزْنَ ثَوْرٍ
على وَرْدتِهِ

مُشْعلاً شَمْعةَ الحاسَّةِ
في بهجتِهِ

حتى تغمرَ الأرضَ

نارٌ عَصيَّةٌ

وتتسعَ الريحُ

لصيحةِ الماءِ

ويتحدَ العالمُ

في جَلْوَتِهِ.

٢٣-١١-١٩٩٤

أكانت النارُ حُلْماً

فَتِّشْ الآن أعضاءَكَ
كلُّ زاويةٍ تنوءُ بحَمْلِها
ونُحاسُ القلب مَجْلُوٌّ
بفضةٍ غنائية
فهل نجحتْ غيمةُ العصافيرِ
أن تصنعَ سقفاً حياً
لنخلة العُمْرِ الوحيدة؟
وهل تَمَكَّنَ رُخُّ اللغةِ
أن يرفع ظِلَّكَ
نصًّا مُلْتبسا
فوق خَميسِكَ وثلاثائِكَ؟

ما طَعْمُ تلك النارِ التي عانقتَها؟
وما الذي بَقِيَ من اصطدام كوكبين
واشتعالِ أرخبيلٍ؟
ومن التي فَكَّتْ صُرَّةَ الزلازل فوق فِراشكَ؟
فهرولَ القُطْبُ الشماليُّ إلى حِنَّاء كفيكَ
ومال الميزانُ فى اتجاه بُرَحائك

أكانت النارُ حُلْماً؟
بماذا إذن تُفَسِّرُ آثارَ الحريقِ
وانتقالَ الشمسِ إلى بُرْجِ الحَمَلِ؟

وأين تقعُ عاصمةُ حُزْنِكَ التي استولى عليها برابرةٌ
ينتعلون نعالا من شهوة الأيائل؟

١-٨-١٩٩١

قُلْ للجَبَل

قُلْ للجَبَل:

أنت غيمتي الناعمةُ
أيها الحَجَلُ الوثّابُ

وأنت النقطةُ التي وَضَعَهَا
قَلَمُ الكونِ
على فاء الأفقِ
لكي تصِحَّ قراءةُ الأرضِ
ويثبتَ أجرُ الجبّارينَ
ويخرجَ ماموثُ البهجةِ
من جِلْدِ البَشَرِ السّاعينَ إلى الموتِ

وأنت أغنيتي التي تَلْضِمُ الرملَ والمَحارَ
في خيطٍ زَمَنيٍّ

ليس لأصواتكَ لَوْنٌ واحدٌ
وريحكَ تهبُّ في كل اتجاه

أقيمُ حيثُما ساخت قَدَمي
وأصنعُ قليلا من الرَّعْدِ
داخل خيمتكَ الإنسانية

فهل تُتَوِّجُ رأسي حَيَّةٌ مُقَدَّسَةٌ؟
أم أحفرُ الهواءَ بفأسٍ نباتيٍّ
لأسمعَ نَفَسَ الرَّبِّ
وأنينَ الفَخَّار.

٩-٨-١٩٩١

قل لشمس الضحى

قل لشمس الضحى:

تسقطين في النهرِ
جناحان وقَلْبٌ نابضٌ

كَعبُكِ مَوْشومٌ بجَنَّاتٍ مُزْدَهِياتٍ
فخففي الوَطْءَ
على أحشاء حُلْمي

حَديدي ساخنٌ
وهواؤكِ يأتي مائياً
والسلامُ عليَّ يومَ تأتينَ
مفكوكةَ الفصولِ
عاليةَ الخضرةِ

نَقْشُكِ محفورٌ
فوق جِداريَّاتِ الروحِ
ومنازلُكِ ابتهجتْ
والبَلَحُ اسودَّتْ حُمْرَتُهُ
وسوف أوسِّعُ ثَقْبَ الإبرة شِبْراً
حتى يكتسبَ العالمُ
حُرِّيَّةَ تَذْبين طليقين.

١٩٩١-٨-٨

دمنهوريات

م١١ - الأعمال الكاملة صلاح اللقانى ج١ (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

للبحر مرآة وحصى

الرملُ المائيُّ مبسوطٌ مثل سجادة البدويِّ
وخيامُ الأبديةِ تعلو
ثم تغيضُ
وأنت شَرْخٌ في زجاج الماءِ
وعَضَّةُ نَوْرسٍ في البدن الرجراجِ

وكان الماءُ يلدُ الماءَ
والوحشُ البحريُّ يشقُّ الموجَ
بذيلٍ أسودَ
كان الماءُ يلدُ الماءَ
فهل تولدُ من تلك الرجرجةِ
دمنهورُ الأخرى؟

هل يَخْطَتُ الزَّبدُ الهشُ
رصيفاً
وشارعاً
تعودُ إليه أقدامُ أبي
ونافذةً
لضفائر أختي؟

وهل أستطيعُ أن أحملَ من جبل الهواءِ
قليلاً
لرئتيها المليئتين بالرمل؟

١١-٥- ١٩٩٤

فِضَّة

ناقوسٌ على حَصَى القاع
والفضَّةُ المُرْتَعِدَة
تملأُ الشبكةَ الكونية.

١١-٥-١٩٩٤

بوابة سيدي عدس

اصطفاقُ الحديدِ يصنعُ ضوضاءَهُ الهَشّةَ
صَدَءٌ يرنُّ على قسوتهِ

هل الحديدُ حَدٌّ؟

هكذا كان الخطرُ يلوحُ ويجَيءُ على قُضبْانٍ
مشحوذةٍ
بينما الجسمُ الهائلُ
يأخذُ من الهواءِ
ما يكفي
لكامل امتدادهِ
ولا زَهْرَ ينمو بين القضيبينِ

غيرُ بقايا مازوتٍ سائلٍ
ونَشيش سيارة منتظرةٍ
وقَوْسِ قُزَحٍ
وضريح.

٢١-٥-١٩٩٤

تحت الكوبري

امرأةٌ من الماءِ
أيقظت الشتاءَ على الجِسْر التُرابيِّ
فابيضَّ حَجَرُ المِسْطاحِ
والميلُ الجانبيُّ للنهرِ
وكان الملَسُ الأسودُ
ذو الفتوقِ
يصنعُ نوافذَ صغيرة
على لَحْمِها الذي راوغَ الفقرَ
فملأ الردفينِ والناهدين

لم تكن بَوْصَلَةُ القلب قد هدأتْ
حين طَيَّرت الريحُ ترابَ الجسرِ

والورقَ الناشفَ
والأفرعَ المُنكسرة
وحين امتلأ شراعٌ فمضى مبتعداً
عن كوبري إفلاقة الحديديِّ
لم تكن بَوْصلَةُ القلبِ قد هَدَأتْ
حين لاح الصَّبيُّ
في بِنطالِهِ الصُّوفيِّ
وفي صندلِهِ الجلديِّ
حاملاً أسْطورتَهُ
وقمرين أخضرين
وعاصفةً صغيرة

ما الذي جعل بَوْصلَةَ القلب تُشيرُ
إلى فتى الجِسْرِ الشتائيِّ؟
فاقتربتْ من أسطورتِهِ امرأةُ الماءِ
ورمت فوق شُجَيرتِه
وردتَها

أيها الفتى الشتائيُّ
بعشرة قروش سترى سِرِّي.

تحت الكوبري
جلست القرفصاءَ امرأة الماءِ
ورأى الفتى الشتائيُّ:
عَوْرَتَها.

١٩٩٤-٥-٢٦

الخندق الشرقي

هائشَ الماءِ
مكسورَالمرايا
خرج الخندقُ الشرقيُ
من ضيق التوفيقيةِ
هدأ الغضبُ المائيُّ
بُعَيْدَ البواباتِ المزرورةِ
واستمرَّ الماءُ

كانت شمسٌ مائيةُ
تتسايلُ
فوق الرفيفِ الرصاصيِّ
وتشعلُ شَعْرَ البنتِ
وكافورَ الساحلِ

وكانت فضَّةٌ جَيَّاشةٌ
تَخْدِشُ لَحْمَ الماءِ
ونوافيرُ من الطيرِ في باطنِ النهرِ
والسماءُ قريبةٌ
تحت مِجْداف النَّوْعِ الإنسانيِّ

- تَحَرَّكْ
وحرِّك الشجرَ المورقَ
والإسمنتَ المصبوبَ
وأعمدة الهاتفِ
وحرِّك المحورَ والقطبين وميزان الضوءِ

قَذَفَ النهرُ نعلينِ عائمينِ
واستمر الماءُ

كانت النارُ موقدةً على القاعِ
ووردُ النيل يزهو بالبنفسجيِّ
وسحابةٌ بَشَريةٌ
على الشاطئ الترابيِّ
يُبَدِّدُها نَفَسٌ يتدهورُ
والكلماتُ حرائقُ جوعٍ أبديٌّ

وكان الإوزُّ السابحُ أقماراً حيةً
تثيرُ شهوةَ الموجِ
وتضعُ الرذاذَ على كاحل النُّوتِيِّ

– تحرَّكْ
وحرِّكْ القضبانَ اللامعةَ
وبوابة الهويسِ
وعَجلَةَ الخَزَّاف الإلهيِّ
ودع النارَ تَدُبُّ في تراب الحضاراتِ
وفي أنقاض الجداريات المطموسةِ
وفي قلق الريش

نَصَّت البقرةُ المقدسةُ قَرْنَيها
وهي سابحةٌ
حاملةً قُرْصَ الشمسِ
في بطنِها

واستمر الماءُ.

١٩-٩-١٩٩٤

أبو عبد الله حارة عليم عطفة اللقاني

الحَجَرُ الأسودُ البازلتُ الناعمُ الصغيرُ
اللامعُ المربعُ المُمَهَّدُ المُتَحَدِّبُ القائمُ الزوايا
يفتحُ شُرْيانَهُ لزفيري
ويُمَرِّرُني..
في ضيقِهِ خَيْطَ حنان
والخائطُ الطوبُ الخالي العُرْموسِ من المونةِ
والمُتصدِّعُ والمتماسكُ والشامخُ والباذخُ والمبقورُ
الظاهرِ والباطنِ والصَّاجُ وألواحُ
الخَشَبِ المسقوفةُ بالقشِّ
تسندُ فوق أديم الأرضِ
هوائي وخوائي
وتَلُمُّ
رقيقي ودقيقي
ويجيءُ الطائرُ

الحَجَرُ الأسودُ البازلتُ الناعمُ
كي يلقطَ رملَ الروحِ
من الريحِ
حتى يسكنَ في
حَوْصَلَة
الماء.

١٤-٨-١٩٩٤

نَعَمْ
هذا غيمٌ أسفلتيٌّ
يلينُ في الذاكرة

كَفٌّ مفتوحةٌ
على اتساع الدهشة

إصبعٌ يأخذنا إلى " ابن مسعود "
وإصبعٌ إلى " البحرِ "
وإصبعٌ إلى " صلاح الدين "

عَتَبَةُ الجامعِ كافيةٌ
كي تَرِنَّ طفولتُنا
على نهدين
والأسفلتُ سبورةٌ
لطباشير يَقْظتنا

يقطُرُ الماءُ
من كُوعِ امرأة الحَيِّ
حينما اهتزَّ فِنْطازُ الماءِ
على رأسها
فاهتزَّ شارعُ الرمليُّ
واهتزت الرفوفُ
في بقالة جُوهر

صُفْرةُ النحاسِ تلمعُ
في الصُنْبور العُمومي

والظَّهيرةُ خفيفةٌ
فوق جِلْدنا

جُنَّتْ النِّسْوةُ الغانساتُ في القصر يا إبراهيم
وسوف نلهو كثيرا
حين يذبحون العِجْلَ
عند خروج تاجر المخدرات من السِّجْنِ

أفراحُ الخبيز في مَنْوَرِ الجيرانِ
زَحْزَحَتْ الرعبَ الذي انتابنا
في خطبة الجمعة
عندما ألقت حَطَباً مُشْتَعِلا
على
عُصْفورٍ

شارعٌ؟
أم عَيْنٌ مفتَوحةٌ
أغلقت جَفْنَيْها
علينا.

١٩٩٤-١٢-٣١

أبو الريش

قل هو الله أحد.

الدراويش يجلسون في ثَقْبِ الإبرةِ
ويشدُّونَ خيطاً من السماء
وحَبْلاً من الأرضِ

طين شتويٌّ
مُلْتصقٌ بالأسفلتِ
ورُخامُ الجامعِ باردٌ

اتسعَ الصَّحْنُ
والجُرْنُ
والشارعُ الرئيسيُّ

لكل محاولات الخروجِ
من الاكتئاب الجماعيِّ

للنارِ ذَيلٌ أسودُ
وإلْيةُ المرأةِ مكشوفةٌ
فوق الحامل الخشبيِّ
وكان يمكنُ لخمسةٍ أن يختفوا في جَبَلِ الحُمُّصِ
وحَبٍّ العزيز

كان الزحامُ فُرْصةً لاصطدامات الهواءِ
وقضيبٌ حديديٌّ هائلٌ
يَلْمَسُ السُّرةَ المحفورة
فوق المَدْخلِ

كيف يمكنُ للزمانِ أن يَهُزَّ وَرْدةً فوق حصانٍ
ويمنحَ ليلةً جَرَسَ البدايات.

١٩٩٥-٢-٧

جاءت سُعادُ

جاءت سُعادُ..

فقلبي اليومَ مأخوذٌ
في أكثر من اتجاهٍ

حُجْرتي فوق سطح البيت مُضاءة
ومنتصفُ الليلِ أكملَ
درجة الإظلام المناسبة
لبحرِ الغزال الذي روَّى عُودي

المرأةُ الخائنةُ
التي أتت فوراً
من أعالي النيلِ
إلى فلاة صَدْري

حرارةُ الليلِ تسمحُ
بيجامةٍ خفيفةٍ
وشبشبٍ خفيفٍ
وفَضَّةٌ تلك التي ترسمُ أشباحاً
على سطح بيتها

اهتزَّ غسيلُها المنشورُ فوق حِبالهِ الثلاثةِ
مُعْلناً قُدْرتَهُ
على تحويلي إلى سِرٍّ ليليٍّ

ظهرت المرأةُ الخائنةُ
من أعلى بئر السُّلَّمِ
على بلاط الدور الأرضيِّ
مُحَدِّقةً إلى أعلى
في صلاةٍ حِسِّيةٍ
خاليةٍ من الأعراض الزائلةِ

الحشراتُ التي قفزت على ساقيَّ
وخيطُ العنكبوتِ الذي قطعتُهُ بجبهتي
والبرودةُ المنعشةُ
لحائط السَّلم المتفزِّزِ
أفسحت لقدميَّ
طريقَ الهبوطِ

وعندما انتشرتُ على جُمَّتها المحلوقة
زادت المحموديةُ
حتى بَلَغَ الماءُ الجسرينِ

أيها الشرُّ الكريم
أيها الكرمُ الشرير.

١٩٩٥-٢-١٩

وكلبهم

من سطح بيتهِ
لسطح بيتها
القفزُ كان ممكنا
وحبلُ الغسيل مارسَ دَوْرَهُ التآمريَّ
وظُلْمةُ السلمِ كانت كاملةً

أحاطه الظلامُ
حتى ظنَّ نفسَهُ
دقيقةً من المساءِ
ظنَّ نَفْسَهُ
هواءً أسودَ

لا صوتَ..

إلا صوتُ استجابة الدَّرَجِ للخَشَبيِّ

لوزن جسمِهِ، فحاولَ

أن يجعلَهُ

في وزنِ

فكرةٍ

دار مع الدربزينِ

وتركَ لقدمه اليمنى

قراءة مفردات السِّكة الغامضة

وفي نهاية الهبوطِ

اصطدمت ذراعُهُ بصدرها

قادتهُ من ذراعهِ

وفجأةً..
عَوَى على ساقيه كلبٌ

طارَ واستطارَ
حتى جَفَّ ريقُهُ
تحوَّلتْ ساقاهُ ماءً

وفي هدوءِ قطةٍ
وكبرياء ملكة
تحركت في الظلمة المنتشرة
كأنها تديرُ إصبعا
في كفِّها
وطرحت شيئاً ثقيلاً
فوق صندوق العُواء
فمرَّ سالما
بجانبه.

٢٦ -٢-١٩٩٥

بابُ الخُوخَة

بنتٌ جالسةٌ
مِسْرَجَةُ الجاز أمام القدمين
العَتَبَةُ عاليةٌ
بابُ الخوخةِ خلف البنتِ
وفي وَجْه النازلِ
للظلمة رائحةٌ
فُرْنٌ بَلَدِيٌّ بجوار السُّلم
بابُ الخوخةِ مُوصَد
شعلةُ المسرجةِ البرتقاليةُ تهتزُّ
بابُ الحارة مفتوحٌ
لم يَجِف الوَحْلُ من مطر الليلة الماضية
مُقَدَّرٌ للولد النازل أن يرى

أضاءَ قَلْبَ الظلمة نَحْرُها
وذراعاها

جَلَسَ الولدُ جوار البنتِ
على عَتَبَةِ باب الخوخة
مُرْتَبِكا
لا يعرفُ ماذا أجلسَهُ
وما الذي يقولُهُ
لكي يكون جائزاً
تَحَسُّسُ الظاهرِ من بَدَنِها؟

١٩٩٥-٣-٦

وِسْط الدار

الفتاةُ التي دَخَلَتْ وَسَطَ الدار مُسْرعةً
وقفت فجأةً..
فوق سُلَّمة
حينَ دَبَّتْ بسلسلة الظَّهْرِ تنميلةٌ
وارتخت ساقُها

ما الذي أشعلَ النارَ في بنتِ حارتنا بَغْتةً؟

وَسَطُ الدار كان وراءَ الفتاةِ
فَبَصَّتْ بلا هَدَفٍ للأمام
بينما ظَهْرُها
صارَ عيناً تَحَدِّقُ للخلفِ

ماذا أخافَ الصغيرةَ في عَدْوِها؟

كانت الأرضُ مكنوسةً
والكُناسةُ مركونةً بجوار الجدار
وطلاءُ الحوائط قد أتلفتهُ الرطوبةُ
حتى بدا طوبُها

دارت البنت حين استدار الدربزينُ

كان الفتى واقفاً
جِسْمُهُ يملأُ البابَ
مُسْتَغْرِقاً
يَتَخَفَّفُ في ظُلْمةِ المُسْتراحِ
أُحسَّ على سُلَّمِ الدار وَقْفَتها
فاستدارَ
لها.

١٨-٣-١٩٩٥

الفهرس

شركة الأمل للطباعة والنشر

(مورافيتلى سابقاً)

ت: 23904096 - 23952496

الأعمال الكاملة

ألقاكِ كيف ؟
دَمي يُغَمْغِمُ بالكلام كأنه بئرٌ
وحُزني قلعةٌ
تكبو على أبوابها الخمسينَ
خيلُ المركباتِ الضائعةْ

إني عبدتُكِ
وقتَ أن كَفَرَتْ بكِ الدنيا
وأطلقتُ الطيورَ إلى فضائكِ
يا سمائي السابعة

وحفرتُ في أعضائكِ البيضاء جسمي
لا تقولي أنتَ أنتَ.
فقد حللتُ بكل جُزْءٍ
صارَ وجهي وجهكِ الداني البعيدَ
وصار صوتي صوتَكِ الفِضِّيِّ
حينَ يَدُقُّ في جوف السكينة.

تصميم الغلاف: أحمد اللباد



www.gocp.gov.eg